المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التفسير

من خلال المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

السنة الأولى من التعليم الثانوي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب: **التفسير من خلال المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية**
السنة الأولى من التعليم الثانوي العتيق

الناشر: وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية

رقم الإيداع القانوني:

ردمك:

الطبعة : 1438هـ/ 2016م

الإخراج الفني و الطباعة: دار أبي رقراق للطباعة والنشر – الرباط


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقدم بين يدي المتعلمين والمتعلمات هذا الكتاب المدرسي الخاص بمقرر مادة التفسير للسنة الأولى من الطور الثانوي العتيق وفق المنهاج الجديد..

وقد بذلنا جهدا في تذليل صعوبات هذه المادة وتقريبها للمتعلمين والمتعلمات اعتمادا على تفسير القاضي أبي محمد بن عطية المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، بالإضافة إلى اتخاذ «محاسن التأويل» للقاسمي، و«التحرير والتنوير» للطاهر ابن عاشور، «وتفسير المراغي»، كتباً مساعدة. مع إغناء هذه الدروس بما أمكن من الاقتباسات والاستشهادات من مصادر كتب التفسير ومراجعه.

ارتأينا أن نقدم دروس هذا الكتاب عبر مجموعة من الخطوات المساعدة على استيعاب المادة، تتجلى في بيان الأهداف التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها، ومشاركة المتعلمين والمتعلمات وجعلهم ينخرطون في الدرس، وإيراد الآيات القرآنية التي ينبغي قراءتها قراءة سليمة، وتذييلها بشرح الكلمات التي اشتملت عليها، ووضع أسئلة تساعد المتعلمين على استخراج مضامين الدرس من أجل إدراك معانيها والتمكن من تحليلها تحليلا ينمي مهارات المتعلمين اللغوية والاستنباطية لأجل استخراج الفوائد والمقاصد.

أتبعنا ذلك بأسئلة تقويم تقيس مدى تحقق أهداف الدرس، وعززنا ذلك بنص استثماري يساعد المتعلم(ة) على توظيف مكتسباته وتوسيع مداركه في مواقف جديدة. ثم ختمنا الدرس بأسئلة تحث المتعلم(ة) على الإعداد للدرس المقبل.

سلكنا في إعداد هذا الكتاب منهجا يركز على تلخيص المعنى وصياغته في عبارات بعيدة عن الغموض، كما حرصنا على بيان مقاصد القرآن الكريم وفوائده من خلال ما اشتملت عليه سورة النحل من دروس وعبر ترسخ مبادئ العقيدة الصحيحة، والأخلاق الرشيدة، والقيم النبيلة التي على المسلم أن يتحلى بها في حياته وعلاقاته مع الآخرين أيا كان جنسهم أو ملتهم.

نسأل الله تعالى أن يكون هذا الجهد عملا نافعا، وأن يكون خالصا لوجه الله تعالى.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

منهجية التأليف

سلكنا في إعداد هذا الكتاب منهجا يعتمد على مراعاة المسائل الآتية:

- **التعامل مع الكتاب الأصل**: اعتبرنا الكتاب المعتمد «المحرر الوجيز» أساسا للمادة، حيث أثبتنا مادته بنصها أو بمعناها مع التصرف فيها تقديما وتأخيرا واختصارا حسب ما يناسب المستوى المستهدف. وكل ما ورد من نقول في الكتاب الأصل سواء قلنا قال ابن عطية أو كان الكلام من نقل ابن عطية عن غيره فإننا لا نقوم بتوثيقه إلا إذا كان حديثا أو قرآنا.

وبما أن «المحرر الوجيز» كتاب مختصر ويعمد في الغالب إلى عيون المسائل العلمية والاستنباطات الدقيقة وتحرير الخلاف في القضايا المشكلة فإننا اتخذنا «التحرير والتنوير» لابن عاشور و «محاسن التأويل» للقاسمي و» تفسير المراغي» كتبا مساعدة في مجمل الدروس لتغطية كافة الجوانب. وقد رأينا عدم الإحالة على هذه المراجع لكثرة الرجوع إليها في تبسيط المعنى واستكمال جوانب التفسير.

- **توثيق النصوص**:
- **توثيق الآيات القرآنية**: وثقنا الآيات القرآنية برواية ورش عن نافع بذكر السورة ورقم الآية، وفق المصحف المحمدي الصادر عن مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف.
- **توثيق الأحاديث النبوية**: وثقنا الأحاديث النبوية بذكر المصدر والكتاب والباب.
- **توثيق أقوال العلماء**: وثقنا أقوال العلماء ونقولهم بذكر المصدر أو المرجع والصفحة والجزء إن وجد، وأثبتنا باقي المعلومات المتعلقة بتوثيق الكتاب في فهرس المصادر والمراجع.
- **ترجمة الأعلام**: ركزنا على الأعلام الذين لهم علاقة بالتفسير ووضعنا لهم ترجمة موجزة بذكر اسم العلم ونسبه وبعض مؤلفاته، وتاريخ وفاته.
- **المقاصد**: اختتمنا مرحلة تفسير كل درس بالإشارة إلى أهم المقاصد والفوائد التربوية التي تضمنتها الآيات موضوع الدرس.
- **نصوص الاستثمار**: انتقينا نصوصا للاستثمار لها علاقة بمضامين الدرس من أجل ترسيخ مكتسبات التلاميذ، وتعميق معارفهم وشحذ هممهم للبحث والتعلم الذاتي.

- **التعامل مع الخلاف**: راعينا في هذا الكتاب تجنب القضايا الخلافية في تفسير بعض الآيات وأثبتنا الراجح من الأقوال أو المشهور منها.
- **شكل النصوص**: قمنا بشكل جميع آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وكذا نصوص الاستثمار تذليلا للصعوبات وتجنبا للخطأ فيها.

كيف أستعمل الكتاب

أهداف الدرس
أهداف الدرس وقدراته التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها وتنميتها

تمهيد
مدخل يتضمن العناصر الكبرى التي سيعالجها الدرس

الآيات
آيات قرآنية أقرأها مطبقا قواعد التجويد، وأستوعب معانيها لتوظيفها في فهم الدرس وبناء تعلماتي.

الفهم
الشرح
مفردات لغوية تساعدني على فهم النصوص وإثراء رصيدي اللغوي.
استخلاص مضامين الآيات
أسئلة تساعدني على استخراج مضامين الآيات موضوع الدرس

التفسير
عنصر يتضمن تفسير الآيات وتوضيح معانيها بلغة سهلة ميسرة تساعد على استخلاص الدروس والمقاصد المستفادة منها لتطبيقها في الحياة اليومية

الدرس 1

سورة النحل
﴿الآيات 1 - 4﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات قرب قيام الساعة وقدرة الله على البعث والخلق.

3 – أن أنزه الله تعالى عما لا يليق به من النعوت والأوصاف.

تمهيد

سورة النحل مكية، وآياتها مائة وثمانية وعشرون آية، سميت بذلك لاشتمالها على قصة النحل، وكانت تسمى سورة النِّعَم لتعداد نعم الله الكثيرة فيها على العباد. وقد تضمنت هذه الآيات من السورة الحديث عن اقتراب الساعة ودنوها، وبيان الغاية من نزول الوحي وإثبات قدرة الله على البعث والنشور، وأشارت إلى بيان دليل القدرة من خلال خلق الله تعالى للكون والإنسان.

فكيف تحدثت الآيات عن قرب قيام الساعة؟ وكيف أثبتت قدرة الله على ذلك؟ وما هي الفوائد الإيمانية التي تستفاد من الآيات؟

الآيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (4)﴾ [النحل: 1-4]

الفهم

الشرح:

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ : اقترب قيام الساعة والبعث والجزاء وعقاب الله لمن أقام على الشرك.

فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ : فلا تطلبوا حصول الشيء قبل حينه.

بِالرُّوحِ : بالوحي.

بِالْحَقِّ : بالواجب اللائق.

خَصِيمٌ : بليغ الخصومة شديد الجدل لله عز وجل في قدرته.

مُّبِينٌ : مفصح عما في نفسه بمنطقه.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - استنتج (ي) من الآيات الدليل على قرب قيام الساعة.

2 - بين (ي) من خلال الآيات تنزيه الله تعالى عن الشرك.

3 - وضح (ي) الغاية من نزول الوحي على الأنبياء والرسل.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: الإخبار باقتراب قيام الساعة:

قال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ الأمر: مصدر بمعنى المفعول، كالوعد بمعنى الموعود، أي ما أمر الله به.

وعبر بالماضي ﴿أَتَىٰ﴾ في موضع المضارع على جهة المجاز لإفادة تحقق وقوعه، أي: كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع. والقرينة الصارفة للفظ من حقيقته إلى مجازه هي قوله تعالى: ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. وقرئ بالتاء على الخطاب وبالياء على غيبة المشركين.

كيف أستعمل الكتاب

الإنسان وإنعامه عليه حيث خلقه من ماء مهين، فغذاه ونماه ورزقه القوت؛ فلا يليق بهذا الإنسان أن ينسى نعمة الله عليه.

التقويم
أنشاط يتضمن أسئلة تقيس مدى تحقق الأهداف المسطرة في بداية الدرس

التقويم

1- عرف (ي) سورة النحل.

2- استخلص (ي) من الآيات الأدلة على قرب قيام الساعة.

3- ما هو المعنى البلاغي المراد من تعبير الله تعالى عن المستقبل بلفظ الماضي؟

4- بين (ي) الغاية من نزول الوحي على الأنبياء والرسل .

الاستثمار
نشاط أتدرب فيه على استثمار التعلمات المكتسبة من خلال الدرس في مواقف جديدة.

الاستثمار

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «ابْتُدِئَتْ -سورة النحل- بِالْإِنْذَارِ بِأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ حُلُولُ مَا أُنْذِرَ بِهِ ٱلْـمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَتَلَا ذَلِكَ قَرْعُ الْـمُشْرِكِينَ وَزَجْرُهُمْ عَلَى تَصَلُّبِهِمْ فِي شِرْكِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَانْتَقَلَ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى إِبْطَالِ عَقِيدَةِ الشِّرْكِ فَابْتُدِئَ بِالتَّذْكِيرِ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». [التحرير والتنوير: 14 / 95]

1- استخرج (ي) المعاني الواردة في النص.

2- استشهد (ي) لكل معنى بما يناسبه من الآيات التي درستها.

الإعداد القبلي
نشاط أطلع من خلاله على الدرس الموالي وأجيب عن الأسئلة التي يوجهني إليها الأستاذ

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(5-9) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: وَالْأَنْعَامَ - تُرِيحُونَ - تَسْرَحُونَ - قَصْدُ السَّبِيلِ - جَائِرٌ .

2- حدد (ي) من خلال الآيات مظاهر نعمة الله تعالى في خلق الأنعام والخيل والبغال والحمير.

3- تعرف (ي) من خلال الآيات على سنة الله في الهداية والضلال.

كفايات تدريس مادة التفسير
بالسنة الأولى من التعليم الثانوي العتيق

ينتظر في نهاية السنة الدراسة أن يكون المتعلم (ة):

- متمكنا من تحصيل معاني السورة المقررة وفهم الأساليب البلاغية والفنية الواردة في الآيات
- مستوعبا أخلاق المناظرة والحوار مع الآخر بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن تحقيقا لمقاصد الإقناع العقلي المبني على البرهان والحجة.
- مدركا الأحكام الشرعية الواردة في السورة المقررة حول التمييز في المأكولات بين ما يحل وما يحرم منها.
- مستشعرا النعم الإلهية في الكون من خلال ما امتن الله تعالى به على الإنسان من نعم لا تحصى.
- متخلقا بآداب شكر النعم والإخلاص لله تعالى في كل الأعمال.
- متدبرا القصص القرآني وما يشتمل عليه من الدروس الأخلاقية والإيمانية.
- قادرا على تنمية مشاعره الإيمانية وتقوية علاقته بكتاب الله تعالى والامتثال لأحكامه وتوجيهاته.
- متشبعا بثوابت الإسلام العقدية والفقهية والأخلاقية في نفسه من خلال التعامل مع آيات القرآن الكريم المقررة وفهم مقاصدها المتعلقة بالوجود والكون والجود والحقوق.
- قادرا على الدفاع عن الإسلام بأسلوب يعتمد على الوسطية والاعتدال والابتعاد عن سائر مظاهر الغلو والتطرف.

التوزيع الأسبوعي والدوري
الدورة الأولى

الدورة	الأسبوع	الدروس
الدورة الأولى	1	تقويم تشخيصي
	2	سورة النحل(الآيات:1 – 4)
	3	سورة النحل (الآيات: 5 – 9)
	4	سورة النحل (الآيات: 10 – 14)
	5	سورة النحل (الآيات: 15 – 23)
	6	سورة النحل (الآيات: 24 – 29)
	7	سورة النحل (الآيات: 30 – 35)
	8	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	9	سورة النحل (الآيات: 36 – 40)
	10	سورة النحل (الآيات: 41 – 44)
	11	سورة النحل (الآيات:45 – 50)
	12	سورة النحل (الآيات:15 – 65)
	13	سورة النحل (الآيات:57 – 59)
	14	سورة النحل (الآيات:60 – 62)
	15	سورة النحل (الآيات:63 – 67)
	16	سورة النحل (الآيات:68 – 70)
	17	فرض كتابي رقم:2 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت

التوزيع الأسبوعي والدوري
الدورة الثانية

الدورة	الأسبوع	الدروس
الدورة الثانية	18	سورة النحل (الآيات: 71 – 74)
	19	سورة النحل (الآيات: 75 – 77)
	20	سورة النحل (الآيات: 78 – 80)
	21	سورة النحل (الآيات: 81 – 85)
	22	سورة النحل (الآيات: 86 – 89)
	23	سورة النحل (الآية: 90)
	24	سورة النحل (الآيات: 91 – 93)
	25	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	26	سورة النحل (الآيات: 94 – 97)
	27	سورة النحل (الآيات: 98 – 103)
	28	سورة النحل (الآيات: 104 – 109)
	29	سورة النحل (الآيات: 110 – 114)
	30	سورة النحل (الآيات: 115 – 119)
	31	سورة النحل (الآيات: 120 – 124)
	32	سورة النحل (الآيات: 125 – 128)
	33	فرض محروس رقم 2
	34	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2 – دعم وتثبيت

الدرس
1

سورة النحل
﴿الآيات 1 – 4﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات قرب قيام الساعة وقدرة الله على البعث والخلق.

3 – أن أنزه الله تعالى عما لا يليق به من النعوت والأوصاف.

تمهيد

سورة النحل مكية، وآياتها مائة وثمانية وعشرون آية، سميت بذلك لاشتمالها على قصة النحل، وكانت تسمى سورة النِّعم لتعداد نعم الله الكثيرة فيها على العباد. وقد تضمنت هذه الآيات من السورة الحديث عن اقتراب الساعة ودنوها، وبيان الغاية من نزول الوحي وإثبات قدرة الله على البعث والنشور، وأشارت إلى بيان دليل القدرة من خلال خلق الله تعالى للكون والإنسان .

فكيف تحدثت الآيات عن قرب قيام الساعة؟ وكيف أثبتت قدرة الله على ذلك؟ وما هي الفوائد الإيمانية التي تستفاد من الآيات؟

الآيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (2) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (3) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ (4)﴾ [النحل: 1 – 4]

الفهم

الشرح:

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ : اقترب قيام الساعة والبعث والجزاء وعقاب الله لمن أقام على الشرك.

فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ : فلا تطلبوا حصول الشيء قبل حينه.

بِٱلرُّوحِ : بالوحي.

بِٱلۡحَقِّ : بالواجب اللائق.

خَصِيمٞ : بليغ الخصومة شديد الجدل لله عز وجل في قدرته.

مُّبِينٞ : مفصح عما في نفسه بمنطقه.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - استنتج (ي) من الآيات الدليل على قرب قيام الساعة.

2 - بين (ي) من خلال الآيات تنزيه الله تعالى عن الشرك.

3 - وضح (ي) الغاية من نزول الوحي على الأنبياء والرسل.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: الإخبار باقتراب قيام الساعة:

قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ الأمر: مصدر بمعنى المفعول، كالوعد بمعنى الموعود، أي ما أمر الله به.

وعبر بالماضي ﴿أَتَىٰٓ﴾ في موضع المضارع على جهة المجاز لإفادة تحقق وقوعه، أي: كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع. والقرينة الصارفة للفظ من حقيقته إلى مجازه هي قوله تعالى: ﴿تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾. وقرئ بالتاء على الخطاب وبالياء على غيبة المشركين.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر الآية:1] قال الكفار: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون، فأمسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا، فقالوا: ما نرى شيئا، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء الآية: 1]. فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فامتدت الأيام فقالوا: ما نرى شيئا فنزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثب رسول الله ﷺ والمسلمون وخافوا فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا. فقال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ».[صحيح مسلم كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة]

ثانيا: تنزيه الله تعالى عن الشرك:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه الله تعالى عن الشريك والشفيع الذي يدفع الضر عنكم. وفي هذا رد لمقالتهم حين قالوا: لئن حكم الله علينا بإنزال العذاب في الدنيا أو في الآخرة لتشفعن لنا هذه الأصنام التي نعبدها من دونه. وتفيد الآية: تنزيه الله تعالى عما يصفونه به من أنه لا يقدر على قيام الساعة، وذلك أنهم يقولون: لا يقدر أحد على بعث الأموات، فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به إلا المخلوق، وذلك شرك.

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوبا تقديره أسبحه سبحانا أو سبحوه سبحانا. وقرئ قوله تعالى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياء على الغيبة والتاء على الخطاب.

ثالثا: بيان الغاية من نزول الوحي على الأنبياء والرسل:

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسرة بمعنى أي. والروح في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ المقصود به الوحي.

والمعنى: أن الله تعالى أنزل ملائكته بوحيه على أنبيائه، لكي ينذروا هؤلاء الناس ويخوفوهم من سوء عاقبة الإشراك بالله تعالى، ويدعوهم إلى أن يخلصوا العبادة لله تعالى، ويبينوا لهم أن الألوهية لا يصح أن تكون لغير الله سبحانه.

وفي الآية بيان أن نزول الملائكة بالوحي إنما هو على من يختاره الله لنزول الوحي عليه، لا على من يختاره هؤلاء، وأن النبوة هبه من الله تعالى لمن يصطفيه من عباده مصداقا لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:125]

وفي الآية أيضا ردٌّ على المشركين الذين قالوا –كما حكى عنهم القرآن الكريم-: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:30].

وتم تشبيه دور الوحي وأثره في القلوب بدور الروح وأثرها في الأجسام، ثم حذف المشبه وهو الوحي، وأقيم المشبه به وهو الروح مقامه على جهة الاستعارة التصريحية. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:49].

والتعبير عنه بالروح على نهج الاستعارة فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل، ولذلك قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 123]

وذكر تعالى ما يقال للأنبياء بالوحي على المعنى، ولم يذكره على لفظه لأنه لو ذكره على اللفظ لقال «أن أنذروا أنه لا إله إلا الله» وهذا الاستعمال سائغ في كلام العرب إذا تكلمت أن تحكي على اللفظ أو المعنى.

رابعا: مظاهر قدرة الله تعالى في الكون والإنسان:

1 - في الكون: قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: هو سبحانه وتعالى المنفرد بخلق السموات والأرض، إذ ليس في قدرة أحد سواه أن ينشئ السموات والأرض، فلا تليق العبادة إلا له. ولما كان خلق السموات والأرض غيباً لتقدّمه كان خلق الإنسان على هذه الصفة شهادة؛ فيكون ذلك أقوى في الدلالة على وحدانيته تعالى.

2 - قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يروى أن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف. وكان ينكر البعث فجاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: تزعم يا محمد أنّ الله يحيي هذا العظم بعدما قد رمّ؟ فنزلت هذه الآية. وهي عامة في كل ما يقع فيه الخصومة في الدنيا ويوم القيامة، وحملها على العموم أولى. والمراد بالإنسان الجنس، أي خلق هذا النوع من نطفة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل: من يحيي العظام وهي رميم؟ وهذا وصف للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة.

وقد نبهت الآيات موضوع الدرس على توحيد الله عز وجل وتنزيهه عن الشريك، والتأكيد على قرب قيام الساعة، و بيان قدرة الله تعالى على الخلق والبعث بعد الموت، وذكَّرت الآيات بفضل الله على

الإنسان وإنعامه عليه حيث خلقه من ماء مهين، فغذاه ونماه ورزقه القوت؛ فلا يليق بهذا الإنسان أن ينسى نعمة الله عليه.

التقويم

1- عرف (ي) سورة النحل.

2- استخلص (ي) من الآيات الأدلة على قرب قيام الساعة.

3- ما هو المعنى البلاغي المراد من تعبير الله تعالى عن المستقبل بلفظ الماضي؟

4- بين (ي) الغاية من نزول الوحي على الأنبياء والرسل .

الاستثمار

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «ابْتُدِئَتْ -سورة النحل- بِالْإِنْذَارِ بِأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ حُلُولُ مَا أُنْذِرَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَتَلَا ذَلِكَ قَرْعُ الْمُشْرِكِينَ وَزَجْرُهُمْ عَلَى تَصَلُّبِهِمْ فِي شِرْكِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَانْتَقَلَ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى إِبْطَالِ عَقِيدَةِ الشِّرْكِ فَابْتُدِئَ بِالتَّذْكِيرِ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». [التحرير والتنوير: 14 / 95]

1- استخرج (ي) المعاني الواردة في النص.

2- استشهد (ي) لكل معنى بما يناسبه من الآيات التي درستها.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(5-9) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: وَالْأَنْعَامَ - تُرِيحُونَ - تَسْرَحُونَ - قَصْدُ السَّبِيلِ - جَائِرٌ .

2- حدد (ي) من خلال الآيات مظاهر نعمة الله تعالى في خلق الأنعام والخيل والبغال والحمير.

3- تعرف (ي) من خلال الآيات على سنة الله في الهداية والضلال.

الدرس
2

سورة النحل

﴿الآيات: 5 9﴾

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 - أن أستنتج من الآيات بعض مظاهر نعم الله على عباده.

3 - أن أشكر الله تعالى بالثبات على طريق الهداية والاستقامة.

تمهيد

بعد ما أكدت الآيات السابقة على تنزيه الله تعالى، وحذرت من الشرك به، وبينت أن خلق الله للإنسان والكون يعتبر من دلائل قدرته، وعظيم نعمته على الإنسان؛ جاءت هذه الآيات لبيان المزيد من نعم الله تعالى تنبيهاً على وجوب شكر الله عليها، فذكر في هذه الآيات إنعامه سبحانه على الإنسان بنعمة تسخير الأنعام والدواب وبيان عظيم منفعتها للإنسان.

فما هي جوانب التسخير والمنفعة التي امتن الله تعالى بها على عباده في هذه الآيات؟ وكيف نستدل بهذه النعم على الله تعالى والقيام بشكره ؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)﴾ [النحل: 5-9]

الفهم

الشرح:

تُرِيحُونَ : تردّونها بالعشي من مسارحها.

تَسْرَحُونَ : تخرجونها غدوة من حظائرها ومبيتها إلى مسارحها ومراعيها.

أَثْقَالَكُمْ : واحدها ثِقل وهو متاع المسافر.

بِشِقِّ : بمشقة وتعب.

قَصْدُ : استقامة.

السَّبِيلِ : الطريق.

جَآئِرٌ : أي مائل عن المحجة، منحرف عن الحق.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هي النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده في هذه الآيات؟

3- استنتج من خلال الآيات مظاهر إنعام الله على الإنسان بالأنعام.

4- بين من خلال الآية الأخيرة سنة الله تعالى في الهداية والضلال.

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: امتنان الله تعالى على الإنسان بخلق الأنعام وتسخيرها:

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الأنعام هي الإبل والبقر والغنم ويدخل في الغنم الضأن والمعز. ويتجلى امتنان الله تعالى بهذه النعمة على الإنسان من خلال المظاهر التي وضحتها الآيات وهي كما يأتي:

الدفء: هو السَّخانَة وذهاب البرد. وهو أثر وفائدة تحصل عن طريق استغلال أوبار الإبل وأصواف الغنم التي منها تصنع الأكسية والأغطية والملابس التي يحقق بها الإنسان الدفء. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ونصَب الأنعام عطفا على الإنسان.

المنافع: وهي فوائد تحصل للإنسان من الأنعام عن طريق ألبانها ودهونها وما تقوم من الحرث وغير ذلك من طرق الاستفادة منها. ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ﴾ أي: لكم فيها منافع. وفصَّل في منفعة الدفء والأكل والجمال وحمل الأثقال لأهمية هذه المذكورات وأثرها في حياة الإنسان، وأجمل ما سواها في لفظ المنافع لكثرتها.

الأكل: أحل الله تعالى للإنسان أكل الأنعام بجميع أصنافها وأنواعها من إبل وبقر وغنم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ولأكلها شروط مفصلة في سورتي المائدة والأنعام منها: ألا تكون ميتة وألا تكون مذبوحة لغير الله.

الجمال: من فوائد هذه النعمة التمتع بجمال منظرها حين تعود إلى منازلها ممتلئة البطون والضروع. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ وكذلك منظرها الجميل حين خروجها في الصباح للسرح أي: لترعى وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تقول سرَحْتُ السائمةَ إذا أرسلتَها ترعى.

حمل الأثقال: ومن فوائدها أن الإنسان يحمل عليها ما لا يستطيع حمله لثقله، فيحمل على الإبل نفسه ومتاعه عند تنقله في الحضر، وعند السفر من بلد إلى بلد. وقد كان الإنسان يسافر على الإبل من أقصى المغرب إلى بلد الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وشق الأنفس أي: مشقتها، وقرئت بفتح الشين ومعناه بذهاب نصفها، فكأن الإنسان قد ذابت نفسه نصَباً وتعبا لولا أن يسر الله له الأنعام.

والإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لبيان أن رأفة الله ورحمته المتجلية في هذه النعم هي التي أذهبت المشقات ورفعت الكُلَف.

ثانيا: امتنان الله على الإنسان بنعمة تسخير الخيل والبغال والحمير:

ويتجلى امتنان الله بهذه النعمة على الإنسان من خلال مظهرين هما:

ركوبها: أي: التنقل عليها من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان، فإن الخيلَ كانت تركب للغزو وللصيد،

والبغالَ تركب للمشي والغزو، والحميرَ تركب للتنقل في القرى وشبهها. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ والخيلَ بالنصب معطوف على الأنعامَ أي: وخلق الخيلَ.

التمتع بجمالها: وذلك يحصل بالنظر إليها والتأمل في جمال خِلقتها، كما أنها تعتبر زينة للإنسان. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَزِينَةً﴾ أي: وجعلها لكم زينة تتزينون بها كما يتزين الإنسان باللباس. وسميت الخيل خيلا لاختيالها في المِشية. وهو مظهر من مظاهر جمالها وزينتها. ونُصب قوله تعالى: ﴿وَزِينَةً﴾ بإضمار فعل تقديره وجعلناها.

وقرئت (لتركبوها زينَةً) دون واو، والنصب حينئذ على الحال من الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عاشور رحمه الله: "فالذي يظهر لي أن هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية، وأنها إيماء إلى أن الله سَيُلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير، وتلك الدراجات الهوائية، والسكك الحديدية، والسيارات والطائرات التي تسير في الهواء؛ فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها من كانوا قبل عصر وجود كل منها.

وإلهامُ الله الناس لاختراعها؛ هو ملحق بخلق الله. فالله هو الذي ألهم المخترعين من البشر بما فطرهم عليه من الذكاء والعلم وبما تدرجوا في سلّم الحضارة واقتباس بعضهم من بعض إلى اختراعها. فهي بذلك مخلوقة لله تعالى لأن الكلّ من نعمته" [التحرير والتنوير لابن عاشور، ج: 14 / 111 بتصرف]

واحتج بهذه الآية إمامنا مالك رحمه الله ومن ذهب مذهبه في كراهة لحوم الخيل والبغال والحمير أو تحريمها بحسب الاختلاف في ذلك. وذكر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن لحوم الخيل والبغال والحمير، فكرهها فاحتج بهذه الآية، وقال: جعل الله الأنعام للأكل، وهذه للركوب. وكان الحَكم بن عتبة يقول: الخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله ويحتج بهذه الآية . قال القاضي أبو محمد بن عطية: وهذه الحجة غير لازمة عند جماعة من العلماء، قالوا إنما ذكر الله عز وجل عظم منافع الأنعام، وذكر عِظم منافع الخيل والبغال والحمير وأهم ما فيها من منافع. وليس يقضي ذلك بأن ما ذكر للخيل لا تدخل فيه الأنعام ولا ما ذكر للأنعام لا تدخل فيه الخيل.

قال الطبري وفي إجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأكل، دليل على جواز أكل ما ذكر للركوب. قال القاضي أبو محمد بن عطية: وفي هذا نظر، ولحوم الخيل عند كثير من العلماء حلال. وفي جواز أكلها حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وحديث جابر بن عبد الله

رضي الله عنه: «أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لُحُومَ الْخَيْلِ». [السنن الكبرى للبيهقي، كتاب جماع أبواب ما يحل ويحرم من الحيوانات، باب أكل لحوم الخيل].
قال القاضي أبو محمد بن عطية: والبغال والحمير مكروهة عند الجمهور. وهو تحقيق مذهب مالك. ومن حجة من ألحق الخيل بالبغال والحمير في الكراهة، القياس، إذ قد تشابهت وفارقت الأنعام في أنها لا تجترّ، وأنها ذوات حوافر، وأنها لا أكراش لها، وأنها متداخلة في النسل، إذ البغال بين الحمير والخيل. فهذا من جهة النظر، وأما من جهة الشرع فهي مكروهة لأنها قرنت بالبغال والحمير وهي لا تجب فيها الزكاة.

ثالثا: امتنان الله على الإنسان بنعمة الهداية والبيان:

لما امتن الله على عباده بتيسير السبل المحققة لمصالحهم الدنيوية، ذكرهم على سبيل الامتنان بنعمة أعظم وأهم وهي نعمة تيسير السبيل إلى رحمة الله ونعيمه. فقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: على الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعوة إليه بالحجج، وذلك بإقامة الأدلة وبعث الرسل. ويقال: طريق قاصد، معناه: بين مستقيم. والسبيل: الشرع.

والمعنى: أن على الله بيانَ الطريق الموصلة إلى الهدى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: 12] وليس ذلك للوجوب؛ إذ لا يجب على الله شيء، ولكنْ يفعل ذلك تفضلاً منه سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي: ومن السُّبُل ما هو زائغ عن الطريق المستقيم ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لبَثَّ الهداية في قلوبكم جميعا ولم يَضِلَّ أحدٌ. وأراد هداية اللُّطف بالتوفيق والإنعام بعد الهُدَى العام.

وتشير هذه الآيات إلى بيان جملة من النعم التي أفاضها الله تعالى على عباده، وقد ذكَّر بها لينبه عباده على وجوب شكر المنعم بها شكرا لا يتحقق إلا بإفراده سبحانه بالوحدانية وإخلاص العبادة له.

التقويم

1 - اذكر(ي) النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده في هذه الآيات؟

2 - استنتج (ي) من خلال الآيات مظاهر هذه النعم في حياة الإنسان.

3 - لخص (ي) أقوال الفقهاء في حكم أكل لحوم الخيل.

4 - ماذا تستفيد (ين) من قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؟

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٨ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٧٩ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨٠﴾ [غافر: 78–80].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧٠ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧١ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٧٢﴾ [يس: 70–72].

استخرج (ي) ما اشتملت عليه هذه الآيات من تجليات إنعام الله تعالى على الناس في الأنعام.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (10 – 14) من سورة النحل وأجب/ وأجيبي عن الآتي:

1 - اشرح (ي) الكلمات الآتية: تُسِيمُونَ - ذَرَأَ - طَرِيّٗا - حِلۡيَةٗ - مَوَاخِرَ.

2 - حدد (ي) من خلال الآيات تنوع نعم الله على الإنسان في الأرض والسماء والبحر.

3 - اختتمت الآيات بالإحالة على التفكر، والتعقل، والتذكر. وضح (ي) مناسبة كل آية لما قبلها.

الدرس 3

سورة النحل

﴿الآيات: 10 – 14﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستخلص من الآيات تنوع نعم الله على الإنسان في الكون.

3 – أن أستشعر قدرة الله تعالى وعظمته من خلال بديع صنعه في الكون.

تمهيد

لما أقام الله تعالى الدليل على وحدانيته بخلقه للإنسان وللحيوان، عدد في هذه الآيات جملة من نعمه التي تتجلى في كل مجالات الكون؛ بحيث تحيط بالإنسان وتقيم عليه الحجة في كل وقت وحين. وهي نعم تتجلى في الأرض وكنوزها، والسماء ومشاهدها، والبحار وخيراتها.

فما هي أصناف تلك النعم؟ وما أثرها في زيادة اليقين وربط الصلة بالله عز وجل؟

الآيات

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[الآيات: 10–14]

الفهم

الشرح:

تُسِيمُونَ : أي ترعون، يقال: أسام الماشية وسوَّمها جعلها ترعى.

مُسَخَّرَٰتٌ : مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار والزرع والاهتداء بالنجوم في الظلمات.

ذَرَأَ : خلق.

طَرِيّاً : رطبا. وهو ضد اليابس.

حِلْيَةً : ما يتزين به الإنسان من لؤلؤ ومرجان وغيرهما.

مَوَاخِرَ : واحدها ماخرة: أي جارية، من مَخَرَ الماء الأرض أي: شقها.

استخلاص مضامين الآيات:

1- استخرج (ي) أنواع النعم الواردة في الآيات موضوع الدرس.

2- بين (ي) منافع نعمة الله تعالى في نزول الغيث؟

3- أبرز (ي) مظاهر قدرة الله تعالى في الكون.

4- كيف امتن الله تعالى على الإنسان بنعمة البحر؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: إنعام الله على الإنسان بنعمة إنزال الماء:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿10﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿11﴾﴾

ذكرت الآيتان مجموعة من الفوائد التي يجنيها الإنسان من نعمة الله في إنزال الماء، منها:

منفعته في الشراب: قال تعالى: ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ أي: جعل الله تعالى من المطر ماء صالحا للشرب، فمن

ماء المطر ما يستقر في الأرض فيكون آبارا، ومنه ما يتفجر فوق الأرض فيكون عيونا، ومنه ما يجري في الأنهار. وكل ذلك مما ينتفع به الإنسان وغيره بالشرب.

منفعته في السقي والرعي: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: يكون منه الشجر بالتدريج، إذ يسقي الأرض فينبت عن ذلك السقي الشجر. والشجر يطلق على كل ما نبت على الأرض. وهذا في البلاغة من باب تسمية الشيء باعتبار مُسبَّبِه، أو ما يؤول إليه كقول الشاعر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَـاءُ بِأَرْضِ قَـوْمٍ ** رَعَيْنَاهُ وإِنْ كـانُوا غِضَابَـا

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ معناه: ترعون أنعامكم وتسرحونها، وسومها من الرعي، يقال أسام الرجل ماشيته إسامة إذا أرسلها ترعى، ويقال للأنعام السائمة.

منفعته في إنبات الزروع والثمار: قال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ خص الله عز وجل هذه الأربعة وهي: الزرع، والزيتون، والنخيل، والأعناب، بالذكر لأنها أشرف ما ينبت، وأجمعها للمنافع، ثم عمم بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي أنبت بعضا من كل الثمرات، وذلك لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في هذه الآية دلالة على أنه تعالى هو المبدع الحكيم. ويتجلى هذا الإبداع في إنبات أصناف مختلفة من ماء واحد، كما قال تعالى: ﴿تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد: 4]. ونيطت هذه الدلالة بوصف التفكير لأنها دلالة خفية لحصولها بالتدريج. وهو تعريض بالمشركين الذين لم يهتدوا بها في ذلك من دلالة على تفرّد الله بالوحدانية بأنهم قوم لا يتفكرون.

وفي كل ما تقدم من تصاريف المطر بيان لقدرة الله تعالى الموجبة للإيمان بأنه الرب المستحق للعبادة. فكل ما يتقلب فيه الإنسان من نعم هي منه سبحانه وتعالى.

ثانيا: تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم:

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ والمعنى: أن هذه المخلوقات مسخرات على نظام قد استمر به انتفاع البشر، من السكون بالليل، والسعي في المعايش بالنهار. فأما منافع الشمس والقمر فأكثر من أن تحصى. وأما النجوم فهاديات. وبهذا الوجه عدت من جملة النعم على بني آدم. ومن أثر هذه النعمة ضياؤها أحياناً، ومعرفة عدد السنين والحساب.

قرأ الجمهور الشمسَ وما بعدها بالنصب بإعمال سخر في جميع ما ذكر، ونصب «مسخراتٍ» على الحال المؤكدة، وقرأ ابن عامر (والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ) برفع هذا كله. وقرأ حفص عن عاصم (والنجومُ مسخراتٌ بأمره) بالرفع، ونصب ما قبل ذلك. وقرأ ابن مسعود والأعمش (والرياح مسخرات) في موضع (النجوم).

وفي هذه الآية انتقال للاستدلال بإتقان الصنع على وحدانية الصانع وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان، وارتبطت الدلالات بوصف العقل؛ لأن العقل كاف في الاستدلال بها على الوحدانية والقدرة، إذ هي دلائل بيّنة واضحة حاصلة بالمشاهدة.

ثالثا: نعمة تسخير الله للإنسان أنواعا من المخلوقات المنتشرة في الأرض:

قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: وسخّر لكم ما ذرأ في الأرض وبث فيها ونشر. والذرء: الخلق بالتناسل والتوّلد بالحمل والتفريخ، فليس الإنبات ذرءاً، وهو شامل للأنعام المذكورة من قبل، وشامل لغيرها، مثل كلاب الصيد والحراسة، وجوارح الصيد، والطيور، والوحوش المأكولة. وأشار بقوله عز وجل: ﴿لَكُمْ﴾ إلى المنة والإنعام.

وقوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أصنافه، كما تقول هذه ألوان من التمر ومن الطعام، ومن حيث كانت هذه المبثوثات في الأرض أصنافاً فعدت من النعمة وظهر الانتفاع بها أنه على وجوه، ولا يظهر ذلك من حيث هي متلونة. وسيق قوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ للدلالة على دقيق الصّنع والحكمة لكون اختلاف الألوان حاصلا مع اتّحاد أصل الذرء.

وتعلق الاستدلال باختلاف الألوان بوصف التذكّر لأنه استدلال يحصل بمجرّد تذكّر الألوان المختلفة.

رابعا: نعمة تسخير الله البحر للإنسان:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في هذه الآية تعديد لأوجه تسخير الله البحر للإنسان، ومن صور الانتفاع بنعمة البحر ما يأتي:

تيسير صيد حيتانه: قال تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وأكل اللحم يكون من ملحه وعذبه، وقد سخر الله مخلوقاته المتنوعة لِحِيَل الصائدين، تيسيراً لهم ورحمة بهم. ولذلك امتن عليهم بهذه النعمة العظيمة. ووصف الله تعالى لحم البحر بالطري زيادة في الامتنان، وإشارة إلى ضرورة الإسراع بأكله لأنه سريع الفساد.

تيسير استخراج الحلي منه: قال تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: أن الله تعالى سخر البحر وهيأه لينتفع به الإنسان باستخراج أنواع من الحلي. ومن ذلك اللؤلؤ والمرجان والصدف والصوف البحري.

تيسير ركوبه للسفر والتجارة: قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بينت الآية أمرين من عجائب صنع الله وتدبيره في الكون وهما:

الأول: حالة الفُلك وهي تقطع البحر ذهابا وإيابا، وتشق موجه شقا. ففي منظرها على هذه الحال العجيبة ما يبرهن على قدرة الله تعالى وبديع صنعه وبالغ تدبيره، ولذلك قال عز وجل ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ والمواخر وصف للفلك.

الثاني: تيسير سبل التجارة والسفر بواسطة السفن. فهي تنقل الإنسان من قطر إلى قطر، وتحمل أمواله من بلد إلى بلد. وذلك داخل في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فابتغاء الفضل معناه: التجارة وطلب الأرباح. وهذه كلها من تجليات نعمة الله تعالى في تسخير البحر.

وتشير هذه الآيات إلى بيان جود الله تعالى على عباده، من خلال ما أنعم به سبحانه عليهم من نعم ظاهرة، منها: نعمة الماء الذي منه تكون مختلف الأشجار والزروع والثمار. ومنها: نعمة تسخير الله تعالى لليل والنهار والشمس والقمر والنجوم. ومنها: تسخير البحر الذي يستخرج منه الإنسان ما ينتفع به في حياته.

وهذه النعم تقتضي شكر المنعم بها على عباده بما يناسبها من أعمال الطاعة وأشكال التقرب إلى الله.

التقويم

1- استنتج (ي) من الآيات أصناف نعم الله تعالى في البر والبحر والفضاء؟

2- بين (ي) من خلال الآيات تجليات كل نعمة على الإنسان في الحياة.

3- بين (ي) الواجب على العبد نحو كل نعمة من النعم المذكورة في الآيات.

4- وظف (ي) النعم الواردة في الآيات للاستدلال على وحدانية الله عز وجل وقدرته.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (52) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (53)﴾ [طه: 52 53]

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)﴾ [النازعات: 30-33].

1- وضح (ي) من خلال هذه الآيات تجليات نعمة الله تعالى على الإنسان في الأرض.

الإعداد القبلي

اقرأ(ئي) الآيات: (15-23) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: وَأَلْقَىٰ - رَوَاسِيَ - تَمِيدَ - مُّنكِرَةٌ - لَا جَرَمَ.

2- استنتج (ي) من الآيات ما أنعم الله تعالى به على الإنسان من وسائل الاهتداء في الأرض.

3- بين (ي) من خلال الآيات وصف الله تعالى لحال المشركين.

الدرس 4

سورة النحل

﴿الآيات: 15 23﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أدرك أهمية إنعام الله على الإنسان بوسائل الاهتداء في الأرض.

3 – أن أرسخ إيماني بالله تعالى من خلال دليلي الإنعام والخلق.

تمهيد

هذه الآيات تواصل تعداد نعم الله تعالى على الإنسان بمزيد من التفصيل، حيث ذكر الله تعالى جملة من المخلوقات التي جعلها علامات يهتدي بها الإنسان في البر والبحر. وهي من بين نعم الله الظاهرة التي لا يمكن لأحد أن يعُدَّها. وأنكر الله تعالى على المعرضين عن هذه النعم التي هي دليل على المنعم جل جلاله، وآية على وحدانيته وعظمته عز وجل.

فما هي النعم التي امتن الله بها على الإنسان؟ وكيف نستفيد من هذه الآيات في تزكية نفوسنا للخروج من حال الغفلة والاستكبار؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ (17) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23)﴾

[الآيات: 15–23]

الفهم

الشرح:

وَأَلْقَىٰ : خلق وجعل.

رَوَاسِيَ : جبالا ثابتة. يقال رسا يرسوا أي: ثبت وأقام.

تَمِيدَ : الميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا.

مُّنكِرَةٌ : جاحدة لا تقبل الوعظ ولا تنفع فيها الذكرى.

مُّسْتَكْبِرُونَ : متعظمون عن قبول الحق.

لَا جَرَمَ : أي: حقا. وهي كلمة لا تكون إلا جوابا.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – استخرج (ي) من الآيات وسائل الاهتداء في الأرض.

2 – كيف أقام الله الحجة على العباد بدليلي الخلق والإنعام؟

3 – وضح (ي) من خلال الآيات وصف الله تعالى لحال المشركين.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: امتنان اللّه تعالى على الإنسان بتيسير وسائل الاهتداء في الأرض:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ هاتان الآيتان تشتملان على بيان نعمة الاهتداء بما في الأرض والسماء التي أنعم الله بهما على الإنسان، وتتجلى من خلال الأمور الآتية:

تثبيت الأرض بالجبال: بعدما خلق الله الأرض وأتم خلقها جعل فيها جبالا تثبتها حتى تستقر ولا تضطرب بما عليها من المخلوقات، ولذلك سميت الجبال بالرواسي أي: الثوابت، كما سميت في آية أخرى بكونها أوتادا، قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 32] وتقتضي كلمة ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ أن

الله خلق الجبال في الأرض بقدرته، ولولا هذه الجبال لمادت الأرض ومالت بأهلها، ولما استقر على ظهرها شيء. وهذا وجه الامتنان بهذه النعمة على الإنسان، كما أن في خلقها على هذا النحو دليلا على عظمة الله وقدرته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ استعارة تصريحية تبعية؛ لأن الإلقاء حقيقة في الرمي والطرح. فاستعاره للخلق والوضع والجعل. فكأن الجبال حُصيَّات قبضهن قابض بيده فنبذهنَّ في الأرض. وذلك تصوير لعظمة الله وتمثيل لقدرته تعالى، وأن كل عسير عليه يسير.

جعل الأنهار في الأرض: جعل الله في الأرض أنهارا تجري من مكان إلى آخر رزقا للعباد، فهي تنبع في مواضع، وهي رزق لأهل مواضع أخرى، وتخترق البقاع والبراري والجبال والآكام؛ حتى تصل إلى البلاد التي سخر الله لأهلها أن تنتفع بها. وكل ذلك بتقدير اللطيف الخبير.

تيسير السبل في الأرض: جعل الله في الأرض سبلا أي طرقا من بلاد إلى أخرى. وقد تحدث ثَنِيَّة في الجبل لتكون ممرا وطريقا كما قال تعالى في وصف الجبال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: 31]. وذلك من تسخير الله فيهتدي الناس بتلك السبل فلا يضلون.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ أي: جعل فيها دلائل يهتدي بها الساري من جبال كبار، وآكام صغيرة، ونحو ذلك، حتى إذا ضل الطريق كانت هذه المعالم عونا له على السير. قال ابن عباس رضي الله عنه، العلامات: معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية الليل.

تسخير النجوم: إذا خلت الأرض من الجبال والأنهار والطرق، لا يستطيع الساري الاهتداء فيها، خصوصا إذا أظلم الليل وغطى هذه المعالم. لذلك جعل الله تعالى النجوم في السماء علامات للاهتداء بها في البر والبحر ومعرفة القبلة وسائر الاتجاهات.

وفي قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ معنيان: المعنى الأول: هو الذي تم بيانه. والثاني: هو الاهتداء بالنظر في هذه المخلوقات للاستدلال بها على خالقها، وهو الله عز وجل، أي: سخر أنهاراً وسبلاً لعل البشر يهتدون.

ثانيا: إقامة الله الحجة على الناس بدليل الخلق:

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم، وينعم بهذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيئا، ولا ينعم بأي نعمة صغيرة ولا كبيرة، فكيف بكم لا تقيمون وزنا لنعم الله التي أظهر من خلالها قدرته وحكمته كما أظهر عجز أوثانكم

وضعفها، وبين لكم ما أنتم عليه من الخطأ في عدم إقراركم بالوحدانية وتعلقكم بأوثانكم التي لا تضر ولا تنفع. فإن من يستحق العبادة هو الله تعالى. وتشتمل هذه الآية على توبيخ قوي للمشركين لأنهم لم يعتبروا بنعمة الخلق.

ثالثا: إقامة الحجة على الناس بدليل الإنعام:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: وإن حاولتم إحصاء نعم الله وحصرها عدداً حتى لا يشذ منها شيء،لم تقدروا على ذلك، إذ هي تعِز عن الحصر، ولذلك فالله عز وجل يتجاوز عن تقصير من لم يستطع عدها وشكرها كلها. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: يستر تقصيركم في القيام بشكرها، ويفيض عليكم نعمه مع استحقاقكم للحرمان بما تأتون من أصناف الكفر والعصيان، ومن أفظع ذلك وأعظمه جرما المساواة بين الخالق والمخلوق. و الخطاب في الآية موجه لجميع الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ أي: الله تعالى يعلم سركم وعلنكم، فيغني ذلك عن إلزامكم بشكر كل نعمة.

رابعا: بيان حال المشركين ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿20﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ وصف الله سبحانه الأصنام بصفات تجعلها بمعزل عن استحقاق العبادة؛ تنبيها على كمال حماقة المشركين. وبين لهم أن هذه الأوثان التي يعبدونها من دون الله لا تخلق شيئا؛ بل هي مخلوقة. فكيف يكون ما هو مصنوع إلهاً، والحال أن غيره هو الذي صنعه. ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿95﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿96﴾﴾ [الصافات: 95 -96].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ أجمعُ عبارة في نفي قدرتهم على الخلق.

وقد وصف الله تعالى معبوداتهم بأنها ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ أي: لا تعتريها الحياة بوجه. فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل. ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾ أي: أنهم لم يقبلوا حياة قط، ولا اتصفوا بها.

وفائدة الوصف أن بعض ما لا حياة فيه قد تدركه الحياة بعد كالنطفة التي ينشئها الله تعالى حيوانا، وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها. أما هذه الأصنام من الحجارة والأشجار فلا يعقب موتها حياة. وذلك أتم في نقصها.

ويحتمل أن يكون الوصف لعبدة الأصنام بأنهم أموات على جهة المجاز، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 123] أي: ضالا فهديناه. وعلى هذا المعنى فقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الكفار لا يدرون في أي زمان يبعثون. وعلى المعنى الأول: وما تدري الأصنام متى تبعث عَبَدَتُها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ هذه مخاطبة لجميع الناس تشتمل على إثبات الوحدانية لله دون سواه، ثم إخبارٌ عن إنكار الكافرين وكونهم يعتقدون بقلوبهم أن هناك آلهة غير الله. وفي هذا استكبار وتعلق بطريقة آبائهم في الاعتقاد.

وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: حقا إن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من إنكارهم لما قصصته عليك واستكبارهم عن عبادة الله، ويعلم ما يعلنون من كفرهم به، وافترائهم عليه. ثم علل سوء صنيعهم بشدة استكبارهم فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ وهذا موجه إلى عامة الكافرين والمؤمنين، بحسب درجة استكبار كل واحد منهم، أي: إن الله لا يحب المستكبرين عن توحيده وعبادته.

وتشير هذه الآيات إلى بيان مقصدين:

الجود الذي يتجلى في امتنان الله تعالى على عباده بما سخره لهم من وسائل الاهتداء من جبال وسبل وأنهار ونجوم.

الوجود من خلال دليلين عظيمين هما دليل الخلق ودليل الإنعام اللذين ساقهما الله تعالى لبيان باهر قدرته وجليل عطائه. ولا يقدر على ذلك أحد غير الله.

التقويم

1 – ما هي أوجه الإنعام التي امتن الله تعالى بها على عباده في الأرض والسماء من خلال الآيات؟

2– أشارت الآيات إلى دليلين لإثبات قدرة الله تعالى وهما دليل الخلق ودليل الإنعام. وضحهما/ وضحهيما.

3 – كيف فند الله تعالى حجج المشركين في عبادتهم غير الله؟

4 – استنتج(ي) من خلال الآيات سلوكا خلقيا أدى بالمشركين إلى التمادي في الضلال رغم وضوح الحق.

الاستثمار

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ بَنِي آدَمَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِحْصَاءِ نِعَمِ اللهِ لِكَثْرَتِهَا عَلَيْهِمْ، وَأَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَقْصِيرِ بَنِي آدَمَ فِي شُكْرِ تِلْكَ النِّعَمِ، وَأَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ مِنْهُمْ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي شُكْرِ النِّعَمِ. وَبَيَّنَ هَذَا الْمَفْهُومَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ هُنَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:36]. وبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنَّ كُلَّ النِّعَمِ عَلَى بَنِي آدَمَ مِنْهُ – جَلَّ وَعَلَا –، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53]. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُفْرَدَ إِذَا كَانَ اسْمَ جِنْسٍ وَأُضِيفَ إِلَى مَعْرِفَةٍ، يَعُمُّ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ، لِأَنَّ "نِعْمَة" مُفْرَدٌ أُضِيفَ إِلَى مَعْرِفَةٍ فَعَمَّ النِّعَمَ".

[أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي: 2/ 362 بتصرف]

1 – استنتج(ي) من النص الفرق بين عَدِّ النعم وإحصائها.

2 – عبر الله تعالى بلفظ (النعمة) مفردا. وضح(ي) الفائدة من ذلك.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (24–29) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1 – تعرف (ي) على الكلمات الآتية: أَسَٰطِيرُ – أَوْزَارَهُمْ – مَكَرَ – ٱلْقَوَاعِدِ – فَخَرَّ – ٱلْخِزْيَ .

2 – استخرج (ي) من الآيات شبهة المشركين في رد الوحي المنزل على الأنبياء والرسل.

3 – بين (ي) كيف صورت الآيات حال المشركين عند موتهم.

الدرس

5

سورة النحل

﴿الآيات: 24 – 29﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات بعض شبهات المشركين وكيفية رد الله عليهم.

3 – أن أتعظ بتذكير الله تعالى بعاقبة الكافرين وحالهم عند موتهم.

تمهيد

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة دلائل التوحيد، وأقام البراهين الواضحة على بطلان عبادة الأصنام، أردف ذلك بذكر بعض شبهات من أنكروا النبوة مع الجواب عنها، وبين أنهم ليسوا أول من أنكر، فقد سبقتهم أمم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فأهلكهم في الدنيا، وسيخزيهم يوم القيامة بما فعلوا.

فما هي الشبهة التي رد بها المشركون الوحي؟ وما هو عقاب الله لهم على ذلك؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (25) قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (27) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

[الآيات: 24–29].

الفهم

الشرح:

أَسَٰطِيرُ : واحدها أسطورة. وهي الترهات والأباطيل.

أَوْزَارَهُمْ : آثامهم، واحدها وزر.

مَكَرَ : صرف غيره عما يريده بحِيَله.

ٱلْقَوَاعِدِ : الدعائم والعمد، واحدها قاعدة.

فَخَرَّ : فسقط.

ٱلْخِزْيَ : الذل والهوان. وهو لفظ يعم جميع المكاره.

تُشَٰٓقُّونَ : تعادونني فيها.

فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ : فاستسلموا وانقادوا.

استخلاص مضامين الآيات:

1- استخرج (ي) من الآيات شبهة المشركين في رد الوحي الإلهي.

2- ما هي سنة الله تعالى في عقاب المكذبين بدعوة الأنبياء والرسل؟

3- كيف صورت الآيات حالة الكافرين عند موتهم؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض شبهات المشركين في رد الوحي:

قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ومعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين: أيُّ شيء أنزله ربكم؟ قالوا: لم يُنزِل شيئا، إنما الذي يُتلى علينا أساطير الأولين، أي: هو مأخوذ من كتب المتقدمين.

روي أن سبب نزول الآية هو أن النضر بن الحارث، سافر من مكة إلى الحيرة، وكان قد جلب كتب التواريخ والأمثال مثل كليلة ودمنة وغيرها، فرجع إلى مكة، فكان يقول: إنما يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه.

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ اللام في ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ يحتمل أن تكون لام العاقبة والصيرورة، ويحتمل أن تكون لام كي، ويحتمل أن تكون لام الأمر. وقد بينت الآية أن هذا المضل يحمل وزر نفسه كاملاً، ويحمل وزراً من أوزار كل من ضلَّ بسببه.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: بغير برهان قام عند المضِل، وعند الذي تبعه. وفائدة قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بيان أنهم يضلون من لا يعلم حالهم من الضلال. وفي ذلك تنبيه إلى أن كيدهم لا يخفى على ذي لب، وإنما يكون ضحاياهم من الجهال.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾. قال القاضي أبو محمد بن عطية: "وأسند الطبري وغيره في معنى هذه الآية حديثاً نصه: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتُّبِعَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتُّبِعَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»"

[سنن ابن ماجة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة]. [المحرر الوجيز لابن عطية: 387/ 4].

ثانيا: بيان عاقبة المشركين المكذبين من الأمم السابقة:

قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ المراد بقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ جميع من كفر من الأمم المتقدمة، ونزلت في حقه عقوبة من الله تعالى.

و في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ استعارة تمثيلية. حيث شُبهت حال أولئك بحال قوم بنوا بنيانا عظيما شديد الدعائم، فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم. ووجه الشبه أن ما عدُّوه سببا لبقائهم كان سببا لفنائهم. وهكذا كان مكر هؤلاء المشركين وبالا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ أي: أتى أمر الله وسلطانه. وقيل: المراد بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي: جاءهم العذاب من الله في هذه الصورة. وهذا عذابهم في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هذه الآية وصف لحال المشركين المكذبين في

يوم القيامة. حيث قال تعالى ﴿يُخْزِيهِمْ﴾ وهو لفظ يعم جميع المكاره التي ستنزل بهم، بدخولهم النار. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: 192].

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ﴾ توبيخ لهم. وأضاف الشركاء إلى نفسه في مخاطبة الكفار أي: على زعمكم ودعواكم. ومن هذا قوله تعالى حكاية ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 46] وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[الزخرف: 48].

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾ أي: قال الذين أوتوا العلم بدلائل التوحيد، وهم الأنبياء صلوات الله عليهم والمؤمنون الذين كانوا يدعونهم في الدنيا إلى دينهم، فيجادلون وينكرون عليهم: إن الذل والهوان والعذاب يوم الفصل على الكافرين بالله وآياته ورسله. ومرادهم بهذه المقالة الشماتة وزيادة الإهانة للكافرين.

ثالثا: حال الكافرين عند موتهم وعاقبتهم في الآخرة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للكافرين في قول أكثر المفسرين. و﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ يريد القابضين لأرواحهم، وقوله: ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حال، و﴿السَّلَمَ﴾ هنا الاستسلام، أي رموا بأيديهم وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ فحذف لفظ قالوا لدلالة الظاهر عليه.

ويحتمل قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ وجهين، أحدهما: أنهم كذبوا وقصدوا الكذب اعتصاماً منهم به، والآخر: أنهم أخبروا عن أنفسهم بذلك على ظنهم أنهم لم يكونوا يعملون سوءاً، فأخبروا عن ظنهم بأنفسهم، وهو كذب في نفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعيد وتهديد، أي: بل كنتم تعملون أعظم السوء وأقبح الآثام والله عليم بذلك. فلا فائدة لكم في الإنكار والله عليم بما أسررتم وما أعلنتم.

وقوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بيان لجزاء الكافرين، وأبواب جهنم المذكورة في الآيات مفضية إلى دركاتها. والمثوى: موضع الإقامة. ونعم وبئس إنما تدخلان على معرف بالألف واللام، أو مضاف إلى معرف بالألف واللام. والمذموم هنا محذوف، تقديره بئس المثوى مثوى المتكبرين، والمتكبر هنا هو الذي قاده كبره إلى الكفر.

وتنبه هذه الآيات إلى تحقيق مقصد العبادة الخالصة لله تعالى من خلال الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، والتحذير من الشرك بالله والتكذيب بوحي الله، ومعاندة رُسل الله. وبيان عاقبة المكذبين بدعوة الأنبياء والرسل.

التقويم

1- وضح (ي) من خلال الآيات الشبهة التي رد بها المشركون الوحي.

2- بين (ي) كيف عاقب الله تعالى المنكرين للوحي والمكذبين للأنبياء والرسل في الدنيا والآخرة.

3- وصف الله تعالى حال الكافرين عند موتهم، وبينَ طريقة استقبالهم في الدار الآخرة. بين (ي) ذلك.

4- لماذا يحمل الداعي إلى الضلال وزر من تبعه واستجاب له؟

الاستثمار

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». [صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة..]

1- استخلص من الحديث آثار الدعوة إلى العمل الصالح والعمل السيئ.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (30-35) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- عرف (ي) لكلمات الآتية: خَيْراً - عَدْنٍ - طَيِّبِينَ - يَنظُرُونَ - أَمْرُ رَبِّكَ.

2- استنتج (ي) من الآيات ما وعد الله به المتقين في الدنيا والآخرة.

3- بين (ي) من الآيات كيف احتج المشركون بالقضاء والقدر في مجادلة الأنبياء والرسل.

الدرس
6

سورة النحل

﴿الآيات: 30 – 35﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات أنواع النعم التي أكرم الله بها المتقين في الدنيا والآخرة.

3 – أن يزداد يقيني بأن القرآن الكريم كلام رب العالمين، وليس من أساطير الأولين.

تمهيد

لما تحدثت الآيات السابقة عن المنكرين لما أنزل الله من الوحي على الأنبياء عليهم السلام، وما تلا ذلك من العقاب والعذاب للمكذبين، أخبر سبحانه وتعالى عن حال المتقين المصدقين للأنبياء والرسل فيما جاءوا به من عند الله. فوصف سبحانه وتعالى الثواب الذي أعده لهم، وبشرهم بطيب استقبالهم عند انتقالهم إلى الدار الآخرة، وتوعد سبحانه وتعالى المنكرين والمكذبين بما ينتظرهم عقابا لهم على سوء عملهم، وشركهم ومجادلتهم للأنبياء والرسل.

فما هي الصفات التي استحق بها المتقون طيب الجزاء في الدنيا والآخرة؟ وكيف صورت الآيات حالتهم عند الموت وما هي عاقبة المكذبين المستهزئين بآيات الله ورسله؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (32) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ

فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿33﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿34﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿35﴾

[الآيات: 30 - 35]

الفهم

الشرح:

خَيْرًا : بركة ورحمة.

عَدْنٍ : إقامة.

طَيِّبِينَ : الطيب هو الذي لا يتصف بخُبْث.

يَنظُرُونَ : ينتظرون.

أَمْرُ رَبِّكَ : أمر الله بقيام الساعة أو عذاب الدنيا.

وَحَاقَ بِهِم : وأحاط بهم عذاب الله الأليم.

يَسْتَهْزِءُونَ : يسخرون.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – استخلص (ي) من الآيات إكرام الله تعالى للمتقين في الدنيا والآخرة.

2 – بين (ي) من الآيات وصف الله لحال المتقين عند موتهم؟

3 – ما هو وعيد الله للكافرين الذين وصفوا الوحي بأنه أساطير الأولين؟

4 – كيف احتج المشركون بالقضاء والقدر في مجادلتهم للأنبياء والرسل؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان حال المتقين في الدنيا والآخرة:

لما وصف تعالى مقالة الكفار الذين قالوا عن الوحي بأنه أساطير الأولين، قابل ذلك بذكر مقالة المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ. فقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: قال المتقون: أنزل ربنا خيرا وبركة وهدىً ورحمة لمن اتبع دينه وآمن برسوله.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إلى آخر الآية، هذا وعد متصل بذكر إحسان المتقين في مقالتهم، فلهم جزاء إحسانهم في الدنيا والآخرة. فمن أحسن في الدنيا بطاعة الله، فله حسنة في الدنيا، ونعيم في الآخرة بدخول الجنة. وروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ» [صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: لنعمت الدار للمتقين؛ جنات إقامة تجري من بين قصورها وأشجارها الأنهار. ثم بين أن نِعَمها غير ممنوعة ولا مقطوعة. فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: للذين أحسنوا في هذه الدنيا ما يشاؤون مما تشتهي أنفسهم وتقرّ به أعينهم في جنات عدن كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71]. ثم ذكر أن هذا جزاءٌ لهم على أعمال البر والتقوى فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الأوفى يجزي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

ثانيا: حال المتقين وبشارتهم عند الموت:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا وصف للمتقين حالَ انتقالهم من الدنيا إلى الآخرة، حيث تقبض الملائكة أرواحهم وهم بهذه الصفة ﴿طَيِّبِينَ﴾ وهي عبارة عن صلاح حالهم واستعدادهم للموت. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 70].

وقول الملائكة للمتقين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ بشارة من الله تعالى. وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: بما كان في أعمالكم من كسبكم. وهذا على التجوز، علق دخولهم الجنة بأعمالهم من حيث جعل الأعمال أمارةً لإدخال العبد الجنة، ويأتي في مقابل هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ» [المعجم الكبير للطبراني، معجم شريك بن طارق].

وأجاب القاضي أبو محمد بن عطية عن هذا بقوله: ومن الرحمة والتغمد أن يوفق اللهُ العبدَ إلى أعمال بَرَّةٍ. ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل، كما ذهب إليه فريق من المعتزلة.

ثالثا: وعيد الله للكافرين الذين وصفوا الوحي بأنه أساطير الأولين:

قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وهم ظالمون لأنفسهم.

و(نظَر) إذاكانت من رؤية العين فإنما تُعدّيها العرب بإلى، وإذالم تتعد بإلى فهي بمعنى: انتظر.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ وعيد يتضمن قيام الساعة أو عذاب الدنيا.

ثم ذكر تعالى أن هذا كان فعلَ أسلافهم من الأمم. فإنهم قد عوقبوا ولم يكن ذلك ظلماً لأنه لم يوضع ذلك العقاب في غير موضعه، ولكن ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وعبادتهم للأصنام والأوثان. فهذا وضع الشيء في غير موضعه، أي آذوا أنفسهم بفعلهم، وإن كانوا لم يقصدوا ظلمها ولا إذايتها.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ أي: فلهذا أصابتهم عقوبة الله على ما فعلوا، وأحاط بهم عذابه الأليم، من جراء سخريتهم من الرسل لما هددوهم بعقاب الله.

رابعا: جدال المشركين وطعنهم في دعوة الأنبياء والرسل:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ هذا بيان لجدل الكفار. وذلك أن أكثرهم يعتقدون بوجود الله وأنه خالقهم ورازقهم. فإن كان المخاطبون في هذه

الآية من هذا الصنف من الناس فكأنهم قالوا: يا محمد، نحن نعبد الأوثان تحت نظر الله لتقربنا إليه زلفى، ولو كره الله ذلك لَغَيَّرَهُ قبل أن تأتينا، إما أن يهدينا، وإما بأن يهلكنا.

وقد نبهت الآيات موضوع الدرس إلى إقامة الحجة والبرهان على أن غاية الإنسان في الحياة هي تحقيق مقصد العبودية لله تعالى. ولأجل إيضاح هذا المقصد وإبرازه، وصف الله تعالى حال الفريقين وأعمالهم، فبينت الآيات عاقبة الكافرين وبعض أعمالهم التي استحقوا بسببها هذا العقاب الأليم، كما بينت الآيات جزاء المتقين وبعض أعمالهم التي استحقوا بها هذا الجزاء العظيم.

التقويم

1- ذكَّرت الآيات ببعض صفات المتقين ورتبت على ذلك صورا من ثواب الله لهم. وضح (ي) ذلك.

2- حدد (ي) وعيد الله تعالى للمشركين الذين زعموا أن القرآن الكريم مجرد أساطير.

3- ما هي الشبهة التي جادل بها المشركون الأنبياء والرسل؟ وبين كيف تم الرد عليها؟

4- اشرح (ي) قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

الاستثمار

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 199] فَالْمُفَسِّرُونَ ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنِ الصِّحَّةِ، وَالْأَمْنِ، وَالْكِفَايَةِ وَالْوَلَدِ الصَّالِحِ، وَالزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، وَالنُّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْخِصْبَ وَالسَّعَةَ فِي الرِّزْقِ، وَمَا أَشْبَهَهُ «حَسَنَةً» فقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبة: 50]. وقيل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: 52] أَنَّهُمَا الظَّفَرُ وَالنُّصْرَةُ وَالشَّهَادَةُ، وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فِي الآخرةِ فَهِيَ الْفوزُ بالثَّوَابِ، وَالْخَلَاصُ مِنَ الْعِقَابِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: 199] كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

[مفاتيح الغيب للرازي: 5/ 377]

1- استنتج (ي) من النص المعنى المراد بلفظ الحسنة في القرآن الكريم مستدلا (ة) على ذلك بما يناسب من أدلة.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(36–40) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– تعرف (ي) على الكلمات الآتية: **ٱلطَّٰغُوتَ – جَهْدَ – حَقَّتْ – بَلَىٰ**.

2– استنتج (ي) من الآيات وظيفة الأنبياء والرسل.

3– بين (ي) من الآيات موقف المشركين من البعث والنشور.

الدرس
7

سورة النحل

﴿الآيات: 36 40﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات وظيفة الأنبياء والرسل وعقاب الله لمكذبيهم.

3 – أن أرسخ إيماني بصفة القدرة من خلال إثبات قدرة الله على البعث والنشور.

تمهيد

لما أشارت الآيات السابقة إلى حصر وظيفة الأنبياء والرسل في البلاغ المبين، جاءت هذه الآيات لتبين على وجه التفصيل جوانب هذه الوظيفة المشتركة بين جميع الأنبياء والرسل في كل زمان ومكان، كما وصفت الآيات حال الأمم مع الرسل الذين بعثوا إليهم، وكيف كانت عاقبة المكذبين منهم في الدنيا قبل الآخرة، وذكَّرت الآيات ببعض عقائد أهل الضلال وجواب الله تعالى عن مقالتهم، وبيان قدرته تعالى على ما أنكروه من البعث بعد الموت.

فما هي الوظيفة المشتركة بين جميع الأنبياء والرسل؟ وكيف نستفيد من هذه الآيات في ترسيخ عقيدة الإيمان بالغيب؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (37) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40)﴾

[النحل: 36 – 40]

الفهم

الشرح:

ٱلطَّٰغُوتَۖ : كل ما عُبد من دون الله من آدمي أو حجر أو خشب.

جَهْدَ : غاية جهدهم.

حَقَّتْ : ثبتت ولم ترتفع.

بَلَىٰ : حرف جواب لإثبات المنفي قبلها.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – بين (ي) من الآيات وظيفة الأنبياء والرسل وعاقبة المكذبين لهم.

2– وضح (ي) من الآيات إنكار المشركين للبعث بعد الموت.

3– بماذا أثبت الله تعالى للمشركين قدرته على البعث بعد الموت؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان وظيفة الأنبياء والرسل وعاقبة المكذبين بالبعث والجزاء:

لما كانت الإشارة في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ إلى إقامة الحجة على الناس بالبيان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ جاء في هذه الآية توضيح لبلاغ الرسل والأنبياء، وأنه أمر بعبادة الله وتجنب عبادة ما سواه.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ أخبر الله تعالى أن من الناس من استقام وهداه الله ونظر ببصيرته، ومنهم أيضاً من أعرض وكفر فحقت عليه الضلالة، وهي مؤدية إلى النار حتماً. ومنهم من قاده الضلال إلى العذاب في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ دعا الله سبحانه عباده إلى التأمل في سِيَرِ الأمم السابقة في الأرض، والوقوف على عواقب الكافرين المكذبين.

وقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ لحرصه على إيمان قريش أهله، فبين الله له أن الهداية قدر ومشيئة من الله.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ أي ليس لهم من يمنعهم من جريان حكم الله عليهم أو يدفع عنهم عذابه الذي أُعِد لهم في الآخرة.

ثانيا: إنكار المشركين للبعث بعد الموت ورد الله تعالى عليهم:

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ ذُكر في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من المسلمين حاوَر رجلاً من المشركين، فقال في حديثه: لا والذي أرجوه بعد الموت، فقال له الكافر: أَوَ نُبعَث بعد الموت؟ قال: نعم، فأقسم الكافر مجتهداً في يمينه أن الله لا يبعث أحداً بعد الموت. فنزلت الآية بسبب ذلك.

ثم رد الله تعالى على المشرك ومن كان على عقيدته بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأوجب بذلك البعث. وقوله ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان لفعليهما المقدرين. و﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ في هذه الآية هم الكفار المكذبون بالبعث.

قال القاضي أبو محمد بن عطية: والبعث من القبور مما يجوزه العقل، وأثبته خبر الشريعة على لسان جميع النبيين.

وقوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ متعلق بما دل عليه لفظ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: يبعثهم ليبين لهم. والضمير يشمل المؤمنين والكافرين، والذي يَختَلِفُونَ فِيهِ هو الحق. وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾.

ثالثا: إثبات قدرة الله على البعث بعد الموت:

لما تقدّم إنكار المشركين للبعث، وأكدوا ذلك بالحلف بالله الذي أوجدهم، ورد عليهم تعالى بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ وذكر حقيقة وعده بذلك، أوضح أنه تعالى متى تعلقت إرادته بوجود شيء أوجده. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

ولفظ ﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية للحصر. والمعنى: أن الإرادة والأمر اللذين هما صفتان من صفات الله تعالى، هما صفتان أزليتان. وإن ما في ألفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف إنما هو راجع إلى المراد، لا إلى الإرادة، وذلك أن الأشياء المرادة المكوَّنة، في وجودها استئناف واستقبال، لا في إرادة ذلك، ولا في الأمر به. فمن أجل المراد عبر ب﴿إِذَآ﴾ وب﴿نَّقُولَ﴾ وقوله ﴿أَرَدْنَٰهُ﴾ منزل منزلة مراد، ولكنه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء وتظهر شيئاً بعد شيء. فكأنه قال إذا ظهر للمراد منه. وعلى هذا الوجه يخرج قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 106]. والمقصود بهذه الآية إعلام منكري البعث بهوان أمره على الله وقربه في قدرته سبحانه.

وقد أشارت الآيات إلى مظهر من مظاهر جود الله تعالى على عباده، حيث أرسل الرسل يبينون لهم طريق الخير والفوز والفلاح، ويحذرونهم من عبادة غير الله، ويضربون لهم الأمثال لاقتفاء أثر المتقين وتجنب سبيل الهالكين من المنكرين لقدرة الله على البعث بعد الموت، المكذبين للأنبياء والرسل.

التقويم

1- ما هي الوظيفة المشتركة بين الأنبياء والرسل؟

2- استخرج(ي) من الآيات سنة الله تعالى في الهداية والضلال.

3- استخلص (ي) من الآيات موقف المشركين من قضية البعث وكيف كان جواب الله تعالى عن ذلك؟

4- وضح (ي) معنى الإرادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:64]

وضح (ي) بعض وظائف الرسول ﷺ من خلال هذه الآيات معتمدا على بعض كتب التفسير.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (41-44) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- تعرف (ي) على الكلمات الآتية: **هَاجَرُواْ - لَنُبَوِّئَنَّهُمْ - أَهْلَ ٱلذِّكْرِ - وَٱلزُّبُرِ - بِٱلْبَيِّنَٰتِ** .

2- استنتج (ي) من الآيات فضل الهجرة في سبيل الله ومكانة المهاجرين.

3- بين (ي) من الآيات دور السنة النبوية بالنسبة للقرآن الكريم.

الدرس
8

سورة النحل
﴿الآيات: 41 44﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستخلص من الآيات ثواب الهجرة في الدنيا والآخرة وبعض صفات المهاجرين.

3 – أن أستشعر مكانة السنة النبوية.

تمهيد

بعدما أشارت الآيات في الدرس السابق إلى مقالة المكذبين بالبعث، الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم بأنه لا يبعث الله من يموت، وبعدما ردعهم الله تعالى بأن البعث حقٌّ؛ جاءت هذه الآيات موضوع الدرس لتبين ثواب من آمن باليوم الآخر وصدَّق بالوحي، وتحمَّل من أجل إيمانه أذى المشركين، وصبر واحتسب، وهاجر بدينه خوفا على إيمانه من الفتنة، وعلى نفسه من الهلاك.

فما هي الهجرة التي تتحدث عنها الآيات؟ وما هي الصفات التي استحق بها المهاجرون المدح والثواب المذكورين؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾ [النحل: 41-44]

الفهم

الشرح:

هَاجَرُواْ : خرجوا من ديارهم. ومعنى الهجرة ترك الديار والأهل أو ترك السيئات والآثام.

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ : لننزلنهم في الدنيا منزلا حسنا فيه عزتهم.

بِالْبَيِّنَاتِ : بالمعجزات الدالة على صدق الرسول.

وَالزُّبُرِ : واحدها زبور، وهي كتب الشرائع والتكاليف التي يبلغها الرسل إلى العباد.

الذِّكْرَ : القرآن الكريم.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – ما هو ثواب الهجرة إلى الله؟

2 – حدد (ي) بعض صفات المهاجرين.

3 – ما هي الصفة التي وصف الله تعالى بها رسله؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان ثواب المهاجرين في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ هذه الآية نزلت في هجرة الحبشة على قول الجمهور من العلماء، وهو الصحيح لأنها نزلت قبل الهجرة إلى المدينة. وهي تتناول بالمعنى كل من هاجر بصفة عامة حيث ترك الوطن والأهل في سبيل الله يريد بذلك رضوان الله، وصبر وتوكل على الله. وفي هذا ترغيب لغيرهم في الهجرة واحتمال كل أذىً في سبيل الله احتسابا.

والحسنة الموعود بها في الدنيا قد كشف الغيب عنها، وهي المدينة المنورة التي بوأهم الله إياها، وجعلها لهم دار هجرة، وقيل: إن الحسنة هي لسان الصدق الباقي عليهم في غابر الدهر. وقيل: الحسنة عامة في كل ما يستحسن أن يناله ابن آدم في الدنيا.

وقد روي عن عمر بن الخطاب «أنه كَانَ يُعْطِي المَالَ وَقْتَ القِسْمَة الرَّجُلَ مِنَ المُهَاجِرينَ، ويقُولُ له: خُذْ ما وَعَدَكَ اللهُ في الدنيا، وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ».[المحرر الوجيز لابن عطية: 4/ 169]

و﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾ هنا إشارة إلى الجنة لأن ثواب الآخرة أعظم، والضمير في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائد على كل من يشك في البعث.

ثانيا: بعض صفات المهاجرين التي اقتضت إكرامهم:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذه الآية وردت لبيان بعض صفات المهاجرين الذين وصفهم الله بها لينالوا ثواب الآخرة وهي:

الصبر على الأذى: فقد وصفهم الله تعالى بهذا الخلق الذي يحمل صاحبه على احتمال المكاره في سبيل الله، والقيام بالطاعات، والكف عن الوقوع في المعاصي والشهوات. وقد صبر هؤلاء على ما نالهم من أذى قومهم، وعلى مفارقة الوطن، وعلى احتمال الغربة بين ناس لم تجمعهم بهم ألفة ولا جوار في دار.

التوكل على الله: وهو الاعتماد على الله تعالى، وتفويض الأمر إليه. والناس فيه على مراتب: فمنهم الذي يتخذه منهجا في الحياة فيه؛ وذلك مباح حسن ما لم يلق بنفسه إلى التهلكة. ومنهم من يتوكل على الله مع تحريك الأسباب وهو مع قول النبي ﷺ: «قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ» [صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الورع التوكل] ومنهم المقصر الذي لا يعرف كيف يتوكل على الله.

وتعتبر صفتا الصبر والتوكل من بين أهم صفات المهاجرين اللتين كانتا سببا في نيلهم رضى الله في الدنيا والآخرة.

ثالثا: البشرية من صفات الأنبياء والرسل:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هذه الآية نزلت ردا على كفار قريش الذين استبعدوا أن يكون من البشر رسل من الله تعالى، فأخبرهم الله أنه لم يرسل إلى الأمم السابقة إلا رجالاً من البشر، ولم يرسل لأمة من الأمم ملكاً. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: 2]. ومنه قوله تعالى

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرًا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ ﴾ [المؤمنون 33 - 34].

وقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾، المراد بأهل الذكر أحبار اليهود والنصارى. فبعد توبيخ الله للمشركين طالبهم بالحجة وأمرهم بأن يسألوا أهل الشرائع السماوية السابقة عن أنبيائهم هل كانوا بشرا أم غير ذلك. فلما أخبرهم هؤلاء وهم أهل الذكر بأن أنبياءهم كانوا من البشر لم يعترف الكفار والمشركون بذلك، وظلوا على مكابرتهم ولم يريدوا الاعتراف ببشرية الرسل، ومنهم محمد ﷺ.

ولما وصف الله في هذه الآية الرسل بالصفة المشتركة بينهم وبين غيرهم وهي البشرية، أضاف الصفة الخاصة بهم لبيان منزلتهم ومكانتهم، وهي تلقيهم للوحي الإلهي.

قال تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ بين الله تعالى في هذه الآية حقيقة ما أوحى به إلى هؤلاء الرسل، أي: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً، بالأدلة والحجج التي تشهد لهم بصدق نبوتهم، والكتب التي تشمل التكاليف والشرائع التي يبلغونها من الله إلى العباد.

وقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ يحتمل أن يريد لتبين بالقرآن ما أنزله الله عليك من الوحي، ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك وشرحك ما أشكل من القرآن، فيدخل في هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة، وهذا قول مجاهد.

والمعنى: وأنزلنا إليك القرآن تذكيرا وعظة للناس لتعرفهم بما أنزل إليهم من الأحكام والشرائع وأحوال الأقوام الذين أهلكهم الله جزاء بسبب عنادهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: فربما يتفكرون في تلك الأسرار، فيبتعدون عن سلوك سبيل الغابرين من المكذبين.

وتشير الآيات موضوع الدرس إلى تحقيق مقصد العبودية الكاملة لله تعالى التي تقتضي تحمل الأذى في سبيله، والتوكل والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، واتباع ما أنزَل الله من الوحي على رسوله ﷺ.

التقويم

1- استنتج (ي) من الآيات ثواب الهجرة إلى الله.

2- ما هي الصفات التي مدح الله تعالى بها المهاجرين الأولين؟

3- استخرج (ي) من الآيات الصفة المشتركة بين الأنبياء وغيرهم والصفة التي يختصون بها.

4- ماذا تستفيد (ين) من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؟

الاستثمار

«لَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةُ، وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله - ﷺ وَفُتِنُوا، وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ البَلَاءِ وَالفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ (...) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَد عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالاً، حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا، فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ، آمِنِينَ عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ فِيهَا ظُلْمًا» [الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، لأبي أسماء محمد بن طه، ص:79]

1- تأمل (ي) النص جيدا واستخرج (ي) منه أسباب الهجرة النبوية.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (45 إلى 50) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: يَخْسِفَ - تَقَلُّبِهِمْ - تَخَوُّفٍ - يَتَفَيَّؤُا - دَاخِرُونَ.

2- بين (ي) عقاب الله تعالى لمن مكروا بالأنبياء والرسل؟

3- بين (ي) معنى السجود الوارد في الآيات.

الدرس 9

سورة النحل

﴿الآيات: 45 50﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن استنتج من الآيات وعيد الله تعالى لأهل المكر السيئ.

3 – أن أستشعر عظمة الله تعالى في خضوع كل الكائنات له.

تمهيد

من سنن الله تعالى في دعوة الأنبياء والرسل، أن يكون المعارضون لدعوتهم والمحاربون لهم من أقوامهم الذين يعرفون صدقهم وأمانتهم. وهكذا دعا النبي ﷺ في مكة إلى ربه أعواما، عانى فيها من شتى ألوان وأصناف الأذى الذي تلقاه من قومه، وكان من أشد المكر الذي تعرض له النبي ﷺ هو محاولة قتله عليه الصلاة والسلام، فأنزل الله تعالى هذه الآيات بوعيد شديد، لهؤلاء المشركين.

فما هو وعيد الله تعالى للمشركين الوارد في هذه الآيات؟ وما هي الأدلة على قدرة الله تعالى وعظمته؟ وكيف نزداد خوفا من الله تعالى وخضوعا له؟

الآيات

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (46) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (47) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50)﴾

[الآيات: 45– 50]

الفهم

الشرح:

يَخۡسِفَ : الخسف هو أن تبتلع الأرض المخسوف به.

تَقَلُّبِهِمۡ : تحركهم في أسفارهم.

تَخَوُّفٖ : تَنَقُّصٍ من الأموال وما يملكون.

يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ : يميل من جانب إلى جانب من أول النهار إلى آخره.

دَٰخِرُونَ : خاضعون صاغرون.

وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ : يطيعون الله طاعة تامة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بماذا هدد الله تعالى مشركي مكة بسبب مكرهم السيئ؟

2- وضح (ي) من الآيات الأدلة على قدرة الله تعالى وعظمته.

3- بين (ي) معنى سجود كل ما في السماوات والأرض لله تعالى.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: وعيد الله تعالى لمشركي مكة:

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ (45)﴾
أي: أفأمن الذين مكروا برسول الله من أهل مكة، وراموا صد أصحابه عن الإيمان بالله أن يصيبهم الله بعقوبة من عنده، كما فعل بمن قبلهم من الأمم الذين مكروا بأنبيائهم ورسلهم، فخسف الله ببعضهم الأرض، وأبادهم من صفحة الوجود، كما فعل بقارون من قبل، وأتى بعضهم بعذاب من السماء فجأة

من حيث لا يشعرون، كما صنع بقوم لوط، وأهلك آخرين بعقوبة وهم في أسفارهم يكدحون في الأرض ابتغاء الرزق، وخوَّف بعضهم قبل إنزال العذاب بهم كما فعل بثمود.

وهذا تهديد شديد من الله تعالى لمشركي مكة، الذين جمعوا بين الكفر والشرك بالله، والصد عن سبيل الله، والمحاربة لرسوله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ فيه مزيد تهديد لهم بأن عذاب الله تعالى قريب منهم. يسير على الله تعالى إنزاله بهم في سائر أحوالهم في الحياة. ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ والمعجز: هو المفلت هربا، كأنه عجَزَ طالبُه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ والتخوف: النقص، والمراد أن ينقص أموالهم وأنفسهم قليلا قليلا حتى يأتي عليها الفناء جميعا.

قال القاضي أبو محمد بن عطية: وهذا التنقص يتجه الوعيد به على معنيين:

أحدهما: أن يهلكهم ويخرج أرواحهم على تخوف، أي أفذاذاً ينقصهم بذلك الشيء بعد الشيء، وهذا لا يدَّعي أحد أنه يأمنه. وكأن هذا الوعيد إنما يكون بعذاب ما يلقون بعد الموت، وإلا فبهذا تهلك الأمم كلها. ويؤيد هذا قوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: إن هذه الرتبة الثالثة من الوعيد، فيها رأفة ورحمة وإمهال ليتوب التائب ويرجع الراجع.

والآخر: أن يأخذ بالعذاب طائفة أو قرية ويترك أخرى. ثم كذلك حتى يهلك الكل.

ثانيا: تنبيه المشركين إلى قدرة الله في خضوع كل الكائنات له:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: ألم ينظر هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من الأجسام القائمة، كالأشجار والجبال التي تتفيأ ظلالها، وترجع من موضع إلى موضع عن اليمين والشمائل. فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص، ثم تعود إلى حال أخرى في آخر النهار، مائلة من جانب إلى جانب ومن ناحية إلى ناحية، صاغرة منقادة لربها، خاضعة لقدرته.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وجهين:

أحدهما: أن يكون على معنى قل لهم يا محمد: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

والوجه الآخر: أن يكون خطاباً عاماً لجميع الخلق ابتدأ به القول آنفاً.

وقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ والرؤية في الآية هي رؤية القلب، ولكن الاعتبار برؤية القلب إنما تكون في مرئيات العين.

وفاءَ الظل: رجع بعكس ما كان إلى الزوال، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال إنما هي في نسخ الظل العام قبل طلوعها، فإذا زالت ابتدأ رجوع الظل العام، ولا يزال ينمو حتى تغيب الشمس، فيعم.

والظل الممدود في الجنة لم يذكر الله فيئه لأنه لم يرجع بعد أن ذهب.

والمنصوب بالعبرة في هذه الآية هو كل شخص وجِرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك. والذي يترتب فيه أيمان وشمائل إنما هو البشر فقط، لكن ذكر الأيمان والشمائل هنا على جهة الاستعارة لغير البشر. أي: تقدره ذا يمين وشمال، وتقدره يستقبل أي جهة شئت، ثم تنظر فيه فتراه يميل إما إلى جهة اليمين وإما إلى جهة الشمال، وذلك في كل أقطار الدنيا.

قال القاضي أبو محمد ابن عطية: واختلف المتأولون في هذا السجود. فقالت فرقة: هو سجود عبادة حقيقة، وذكر الطبري عن الضحاك قال إذا زالت الشمس سجد كل شيء قِبَل القبلة من نبت أو شجر. ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت.

وقال مجاهد: إنما تسجد الظلال لا الأشخاص. وقالت فرقة منهم الطبري: عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها بالسجود، وكما يقال للمشير برأسه على جهة الخضوع والطاعة وميلان الرأس ساجد.

ثالثا: سجود كل المخلوقات لله تعالى وخوفها منه:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: ولله يخضع ما في السماوات وما في الأرض مما يدب عليها، وكذلك ملائكته الذين في السماء، وهم لا يستكبرون عن التذلل والخضوع له.

وقد استُعمل لفظ ﴿مَا﴾ في هذه الآية لما يعقل. قال الزجاج: قوله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يعم ملائكة السماء، وما في السحاب، وما في الجو من حيوان. وقوله: ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ واضح. ثم ذكر ملائكة الأرض في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ هو الذي يعم السماوات والأرض، وما قبل ذلك لا يدخل فيه ملك، إنما هو للحيوان أجمع.

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: يخاف هؤلاء الملائكة والدواب ربهم أن يعذبهم إن عصوه، ويفعلون ما أمرهم به ، فيؤدون حقوقه ويجتنبون سخَطه.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ معنيين:

أحدهما: الفوقية التي يوصف بها الله تعالى، فهي فوقية القدر والعظمة والقهر والسلطان.

والثاني: أن يتعلق قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ بقوله: ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون عذاب ربهم من فوقهم. وذلك أن عادة عذاب الأمم إنما أتى من جهة فوق.

وقوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه دليل على أن الملائكة مكلفون ملزمون بالأمر والنهي. وأنهم بين الخوف والرجاء. أما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة؛ وأما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم إلى ما نفذ من أمر الله تعالى.

وتشير الآيات موضوع الدرس إلى تحقيق مقصد الخوف من الله تعالى؛ الذي هو رأس العبادة وأساسها، وذلك يحصل من خلال النظر والتأمل في كل ما خلق الله في السماوات والأرض، فما من شيء في الكون إلا وهو خاضع لله تعالى، ساجد له وصاغر بين يديه.

التقويم

1- بين (ي)ما تضمنته الآيات من أنواع العذاب التي هدد الله بها المشركين.

2- ما هي حقيقة السجود التي وصف الله به كل الدواب والملائكة؟

3- هل أخذ الله تعالى مشركي مكة بنوع من أنواع العذاب المذكورة؟

الاستثمار

قال الإمام الشنقيطي: «قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد:16] بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ يَسْجُدُ لَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَتَسْجُدُ لَهُ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، وَذَكَرَ أَيْضًا سُجُودَ الظِّلَالِ وَسُجُودَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49)﴾ [النحل 48-49]

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِسُجُودِ الظِّلِّ وَسُجُودِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: سُجُودُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ، فَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ لله سُجُودًا حَقِيقِيًّا، وَهُوَ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ طَوْعًا، وَالْكُفَّارُ يَسْجُدُونَ كَرْهًا، أَعْنِي الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ فِي الْبَاطِنِ وَلَا يَسْجُدُونَ لله إِلَّا كَرْهًا، وَالْمُرَادُ بِسُجُودِ الْمُسْلِمِينَ طَوْعًا انْقِيَادُهُمْ لِمَا يُرِيدُ الله مِنْهُمْ طَوْعًا، وَالْمُرَادُ بِسُجُودِ الْكَافِرِينَ كَرْهًا انْقِيَادُهُمْ لِمَا يُرِيدُ الله مِنْهُمْ كَرْهًا ؛ لِأَنَّ إِرَادَتَهُ نَافِذَةٌ فِيهِمْ وَهُمْ مُنْقَادُونَ خَاضِعُونَ لِصُنْعِهِ فِيهِمْ وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ فِيهِمْ». [أضواء البيان للشنقيطي، ج: 237/ 2]

1 – استخلص (ي) من النص ومن مكتسابك المعرفية الفرق بين سجود المؤمن وغيره من الكائنات الأخرى.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (51 إلى 56) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1 - اشرح (ي) الكلمات الآتية: فَارْهَبُونِ - الدِّينُ وَاصِباً - تَجْـَٔرُونَ - تَفْتَرُونَ.

2 - استخرج (ي) ما تضمنته الآيات من أوامرَ ونواهٍ.

3 - استنتج (ي) من الآيات كيف يمكن تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى.

الدرس 10

سورة النحل

﴿الآيات: 51 – 56﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أدرك معنى التوحيد الحق الواجب لله تعالى.

3 – أن أحقق واجب الشكر لله تعالى عل نعمه وفضائله.

تمهيد

إن حقيقة التوحيد الواجب لله تعالى بأنه المعبود بحق، هي الهدف الأسمى، والغاية الكبرى من إرسال الرسل وإنزال الكتب. وإدراكها على الوجه المطلوب يجعل العبد ينسب الفضل كله لله تعالى، اعترافا له بالربوبية. ومعرفته تلك تقوده أيضا إلى الخضوع لله في سائر أحواله، تحقيقا لتوحيد الألوهية، حيث يعرف العبد اللهَ تعالى في الرخاء كما يعرفه في الشدة.

فما هي حقيقة التوحيد؟ وما هي الحكمة من أمر الله تعالى بالخوف منه وحده دون سواه؟ وما هي آثار ذلك في حياتنا وسلوكنا؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (56)﴾ [الآيات: 51 – 56]

الفهم

الشرح:

فَٱرۡهَبُونِ : فاخشَوْن وخَافُونِ.

ٱلدِّينُ : الطاعة والإخلاص.

وَاصِبًاۚ : دائما.

مِّن نِّعۡمَةٖ : من صحة جسم وسعة رزق وولد.

ٱلضُّرُّ : السقم والبلاء والقحط.

تَجۡـَٔرُونَ : تصرخون بالدعاء.

تَفۡتَرُونَ : تختلقون الكذب.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - استخرج (ي) ما تضمنته الآيات من أوامر ونواهٍ.

2 - بين (ي) من خلال الآيات الحكمة من أمر الله تعالى بالخوف منه وحده دون سواه.

3 - ما هو مصدر جميع النعم التي يتمتع بها الإنسان؟

4 - ماذا افترى المشركون على الله؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: نهيُ اللّه عن الشرك وأمرُه بتحقيق الوحدانية:

لما بين سبحانه في الآيات السالفة أن كل ما سواه من جماد وحيوان، وإنس وجن وملك منقاد إليه، وخاضع لسلطانه، أتبع ذلك بالنهي عن الشرك به، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا

﴿هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي: لا تتخذوا إلهين اثنين فصاعداً، وقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ تأكيد للنهي السابق. فالآية تتضمن النهي من الله تعالى عن الإشراك به مطلقا.

ومعنى الآية أن الله تعالى يقول لعباده: لا تتخذوا لي شريكا، ولا تعبدوا معبودَيْن، فإنكم إن فعلتم ذلك جعلتم لي شريكا، ولا شريك لي. إنما هو إله واحد، ومعبود واحد، وأنا ذلك الإله الواحد المعبود. فاتقوني وخافوا عقابي إن أشركتم معي غيري.

وقد ذكر الله العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عنه للدلالة على أن المنهي عنه هو الاثنينية، وأنها منافية للألوهية. كما أن وصف الإله بالوحدة في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ هو للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية وأنها من الصفات الواجبة لله.

والمفعول الأول بـ ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾ هو قوله تعالى: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾. وقوله تعالى: ﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيد وبيان بالعدد، وهذا معروف في كلام العرب أن يبين المعدود بذكر عدده تأكيداً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لأن لفظ إله يقتضي الانفراد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ أي: أن الله تعالى مالك في السماوات والأرض وما فيهما من الأشياء، لا شريك له في شيء من ذلك، وهو الذي خلقهم، وهو الذي يرزقهم، وبيده حياتهم ومماتهم، وله الطاعة والإخلاص على الدوام. ثم ذكر ما هو كالنتيجة لذلك فقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ أي: أفبعد أن علمتم هذا تخافون غير الله، وتحذرون أن يسلبكم نعمةً، أو يجلب لكم أذىً، أو ينزل بكم نقمة إذا أنتم أخلصتم العبادة لربكم، وأفردتم الطاعة له، وليس لكم نافع سواه. وإجمال ذلك: أنكم بعد أن عرفتم أن إله العالم واحد، وعرفتم أن كل ما سواه في حاجة إليه في وجوده وبقائه، كيف يعقل أن يكون لامرئ رغبة أو رهبة من غيره؟

والواو في قوله: ﴿وَلَهُ﴾ عاطفة على قوله: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ و ﴿مَا﴾ عامة لجميع الأشياء مما يعقل ومما لا يعقل. و ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ هنا كل ما ارتفع من الخلق في جهة فوق، فيدخل فيه العرش والكرسي.

و ﴿الدِّينُ﴾ الطاعة والملك. و ﴿وَاصِبًا﴾ القائم الدائم. وقيل: الواجب. وقيل: هو من الوصب وهو التعب، أي وله الدين على تعبه ومشقته.

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ استفهام قصد به التوبيخ، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ بـ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنه فعل لم يعمل في سوى ﴿غَيْرَ﴾ المذكورة.

ثانيا: الله تعالى مصدر كل نعمة:

لما بين سبحانه أن الواجب ألا يُتقى غير الله، ذكر أنه يجب ألا يُشكر إلا هو، فقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أي: وما بكم من نعمة في أبدانكم من عافية وصحة وسلامة، وفي أموالكم من نماء وزيادة وغير ذلك؛ فالله هو المنعم بها عليكم، والمتفضل بها لا سواه. فبيده الخير وهو على كل شيء قدير. فيجب عليكم أن تشكروه على هذه النعم المتواصلة، وإحسانه الدائم الذي لا ينقطع. ولما ذكَّر الله الإنسان بأنه في جليل أمره ودقيقه، إنما هو محاط بنعم الله وأفضاله. ذكَّره تعالى بأوقات المرض لكون الإنسان الجاهل يضطر في ذلك الحين إلى التوجه إلى الله يسأله اللطف. فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي: إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض، أو حاجة عارضة، أو شدة وجهد في العيش ووسائل الحياة، فإليه تجهرون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف الضر عنكم، وأنتم موقنون أنه لا يقدر على إزالة الضر إلا هو.

و﴿الضُّرُّ﴾ وإن كان يعم كل مكروه، فأكثر ما يجيء عبارة عن أرزاء البدن. و﴿تَجْأَرُونَ﴾ معناه: ترفعون أصواتكم باستغاثة وتضرع، وأصله في جؤار الثور، والبقرة وصياحها، وهو عند جهد يلحقها، أو في أثر دم يكون من بقر تذبح، فذلك الصراخ يُشبه به انتحاب الداعي المستغيث بالله إذا رفع صوته، ومنه قول الأعشى:

يراوحُ من صلوات المليـــــ ** ـــــك طوراً سجوداً وطوراً جُؤارا

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: إذا وهب لكم ربكم العافية، ورفع عنكم ما أصابكم من مرض في أبدانكم، أو شدة في معاشكم، بتفريج البلاء عنكم؛ إذا جماعة منكم ممن يرون أن للأصنام أفعالاً من شفاء المرض وجلب الخير ودفع الضر؛ فيجعلونها لله شريكا في العبادة، فيعظمونها، ويضيفون ذلك الشفاء إليها، ويذبحون لها الذبائح، شكرا لغير الله المنعم بالفرج المزيل للضر.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 67].

وفي الآية ما يدل على أن ما يفعله العوام اليوم من التوجه إلى غير الله بالدعاء ممن لا يملك لهم بل ولا لنفسه نفعا ولا ضرا؛ يعتبر من باب السفَه والضلال.

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي: لتكون عاقبة أمرهم أن يجحدوا نعم الله عليهم، وأنه هو المسدي لها، وأنه هو الكاشف للنقم عنهم. وقد فعلوا ذلك لسوء استعدادهم وخبث طويتهم، وبما ران على قلوبهم من الكفر والعصيان، فجحدوا فضل الله.

وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد من الله تعالى لهم على سوء صنيعهم، وبيان لعاقبة أمرهم. أي: فتمتعوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم، وبعدئذ ستصيرون إلى ربكم، فتعلمون عند لقائه وبال ما كسبت أيديكم، وسوء مغبة أعمالكم، وتندمون حين لا ينفع الندم.

ثالثا: افتراء المشركين لنسبتهم بعض النعم لغير الله:

بعد أن بين سبحانه سُخف أقوال أهل الشرك، أردف ذلك بذكر قبائح أفعالهم التي تمجها الأذواق السليمة، فقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي: ويجعل هؤلاء المشركون للأصنام نصيبا مما رزقهم الله من الحرث والأنعام وغيرهما، مما خلق الله فيتقربون بذلك إلى أصنامهم. وهذا شرك بالله الذي خلقهم، ورزقهم، وبيده نفعهم وضرهم.

وقد فصل الله هذا المعنى في سورة الأنعام بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 137]

وقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ قسم من الله تعالى على أنهم سيسألون على افترائهم في أن تلك السنن هي الحق الذي أمر الله به.

والسؤال كناية عما يترتَّب عليه من العقاب لأن عقاب العادل يكون في العادة بعد سؤال المجرم عمّا اقترفه إذ لعلّ لهذا الأخير ما يدافع به عن نفسه. فأجرى الله أمر الحساب يوم البعث على ذلك السَنن الشريف.

وتشير هذه الآيات إلى أن العبودية فطرة في الإنسان، وأنه مهما غفل عن الله وكفر به، فإنه يلجأ إليه عند الشدة والضيق حتما. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من الآيات، منها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12]

وتشير هذه الآيات إلى مقصد توحيد الله، والنهي عن تعدد الآلهة لأن الشرك بالله باطل ومناف للواقع، ويتنافى مع كرامة الإنسان وعزته وصلته بربه، فالواجب عبادة الله وحده واتقاؤه، والتماس الخير والنفع، ودفع الشر والضرر منه وحده دون غيره، ولا سيما في أوقات الأزمات والمحن، مع الحفاظ على نعمة الشكر لله دون كفران النعمة بعد توافرها.

التقويم

1- ماذا تستنتج (ين) من قوله تعالى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؟

2- لماذا يلجأ الإنسان إلى الله عندما يصيبه ضرر أو شدة؟

3- بين(ي) مضمون افتراء المشركين على الله.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿21﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿22﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿23﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿24﴾﴾ [الأنبياء 21-24]

وضح (ي) من خلال الآيات ما يأتي:

1- استدلال القرآن الكريم على وحدانية الله سبحانه.

2- بين (ي) المنهج القرآني في محاججة الجاحد.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(57–62) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) العبارات الآتية: كَظِيمٌ – يَتَوَارَىٰ – يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ – مُّفْرَطُونَ .

2– بين (ي) من خلال الآيات كيف نسب المشركون لله تعالى ما لا يليق به.

3– استنتج (ي) من الآيات كيف كان حال المرأة في الجاهلية.

الدرس

11

سورة النحل

﴿الآيات: 57 59﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

3 – أن أرفض سلوك أهل الجاهلية في احتقارهم للأنثى.

تمهيد

كان الناس قد بلغوا قبل بعثة النبي ﷺ الغاية في الضلال والتيه. والمجتمع العربي في هذا السياق بلغ من الانحراف عن الفطرة السوية مبلغا عظيما، سواء في جانب العقيدة والإيمان، أم في جوانب الحياة المختلفة، ومنها الجانب الاجتماعي؛ فقد تكرست نظرة دونية للمرأة واستوطنت العقول والقلوب، حتى بلغت القمة بوأد الأب بنته استجابة لثقافة اجتماعية سائدة. ومن هاته الثقافة جعلهم الملائكة إناثا وبنات لله على حد زعمهم.

فكيف عالجت الآيات موضوع نسبة البنات إلى الله؟ وكيف نستفيد من الآيات في بناء سلوك اجتماعي يعطي للمرأة مكانتها؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 57 – 59]

الفهم

الشرح:

يَشۡتَهُونَ : يختارون لأنفسهم الذكور ويأنفون من الإناث.

كَظِيمٌ : صامت من شدة ما فيه الحزن.

يَتَوَٰرَىٰ : يَخْتَفِي ويغيب خشية أن يراه الناس.

سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ : من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنت.

هُونٍ : هوان وذل.

يَدُسُّهُۥ : يدفنه خفية.

أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ : أي فسد ما يزعمون من إضافة البنات إلى الله وإضافة البنين إليهم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بماذا وصف المشركون الملائكة في هذه الآيات؟

2- كيف عالجت الآيات موقف أهل الجاهلية من الأنثى؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: دعوى المشركين أن الملائكة بنات اللّه:

قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾ أي: ولقد بلغ من جهل هؤلاء المشركين، وعظيم أباطيلهم، أنهم يجعلون لله البنات وهو المدبّر لشؤونهم، والمستحق لشكرهم. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: 18] وقد أخطؤوا في ذلك خطأ كبيرا، وضلوا ضلالا بعيدا، إذ نسبوا لله الولد، وخصوه بما لم يرضوا به وهو الأنثى. كما قال تعالى:

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ [النجم: 21 - 22]، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ [الصافات: 151 - 152].

وفي الآية استدلال بنعمة الله عليهم بالبنين والبنات، وهي نعمة الولد. وأُدمِج في هذا الاستدلال وهذا الامتنان ذكرُ ضرب شنيع من ضروب كفرهم، وهو افتراؤهم أن زعموا أن الملائكة بنات الله سبحانه. والرد عليهم من وجهين:

أحدهما: نسبة الولد إلى الله تعالى تُناقض صفة التوحيد الواجب له.

والآخر: أنهم نسبوا من الولد إلى الله الأنثى وهي المكروهة عندهم.

وقد بين الله تعالى شدة هذا الافتراء بقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٩ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٩٠ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩١ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩٢ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٣ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٤﴾ [مريم: 89 - 94]

ثانيا: بيان حال أهل الجاهلية إذا ولد لأحد هم أنثى:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾ البشارة: في أصل اللغة إلقاء الخبر السار، الذي يؤثّر في تغير بشرة الوجه. والتّعبير عن الإخبار بازدياد الأنثى بفعل ﴿بُشِّرَ﴾ هو لفائدتين:

الأولى: لأنه بشارة حقيقة، لأن ازدياد المولود نعمة على الوالد لما يترقّبه من التأنّس به، والانتفاع بخدمته وتكثير نسل العائلة.

والثانية: أنه يفيد تعريضاً بالتهكّم بهم، وذلك على جهة المجاز.

وقوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ عبارة عن العبوس والتقطيب الذي يلحق المغموم. وقد يعلو وجه المغموم سوادا، وتذهب إشراقته. فلذلك يوصف بالسواد، والعرب تقول لكل من لقي مكروها: قد اسود وجهه غما وحزنا. و﴿كَظِيمٞ﴾ أي: ممتلئ غما وحزنا، والكظم: مخرج النَّفَس، يقال: أخذ بكظمه، إذا أخذ بمخرج نفسه، ومنه: كظم غيظه، أي: حبسه عن الوصول إلى مخرج النفس.

وقوله تعالى: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾ هذا التواري الذي ذكره الله تعالى، إنما هو بعد البشارة بالأنثى. وكان الرجل إذا ولدت زوجته بنتا توارى

عن الأنظار لشدة العار الذي يشعر به. ويبقى مترددا بين الإبقاء على مولودته في الذل والهوان أو دفنها حية. واعتبر الله هذه الفعلة الشنيعة حكما جائرا فقال تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾. وعرض الله بهم بقوله: ﴿أَلَا﴾ استنكارا لذلك الجور العظيم؟

وقد كرم القرآن الكريم الأنثى، وجعل لها من الحقوق مثل الذي عليها من الواجبات، وأوجب تربيتها وتعليمها والإحسان إليها، ورتب على ذلك ثوابا جزيلا وأجرا عظيما، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِى كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِى شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِى صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ: «إِنَّ اللهَّ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».

[صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات]

وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:«مَنْ كَانَتْ لَهُ بِنْتٌ، فَأَدَّبَهَا فَأَحسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنْ نِعَمِ اللهِ الَّتِي أَسْبَغَ عَلَيْهِ، كَانَتْ لَهُ سِتْرًا وَحِجَابًا مِنَ النَّارِ» [سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، باب الرجل يعتق أمته ثم يتزوجها]

التقويم

1- بين (ي) حال أهل الجاهلية إذا أخبر الرجل بمولوده الأنثى؟

2- كيف ترد (ين) على من نسب إلى الله تعالى البنات؟

3- كيف صحح الله تعالى نظرة المشركين للأنثى؟

الاستثمار

قال الدكتور علي محمد علي الصلابي: وَكَانَ الْعَرَبُ يُعَيِّرُونَ بِالبَنَاتِ؛ لِأَنَّ البِنْتَ لَا تَخْرُجُ فِي الغَزْوِ، وَلَا تَحْمِي البَيْضَةَ منَ الْمُعْتَدِينَ عَلَيْهَا، وَلَا تَعْمَلُ فَتَأْتِي بِالمَالِ شَأْنُ الرِّجَالِ، وَإِذَا مَا سُبِيَتْ اتُّخِذَتْ لِلْوَطْءِ تَتَدَاوَلُهَا الأَيْدِي لِذَلِكَ. بَلْ رُبَّمَا أُكْرِهَتْ عَلَى احْتِرَافِ البِغَاءِ، لِيَضُمَّ سَيِّدُهَا مَا يَصِيرُ إِلَيْهَا مِنَ المَالِ بِالبِغَاءِ إِلَى مَالِهِ، وَقَدْ كَانَتِ العَرَبُ تُبِيحُ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ هَذَا يُورِثُ الهَمَّ وَالحُزْنَ وَالخَجَلَ لِلأَبِ عِنْدَمَا تُولَدُ لَهُ بِنْتٌ.... وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَخْتَارُونَ دَسَّهَا فِي التُّرَابِ، وَوَأْدَهَا حَيَّةً، وَلَا ذَنْبَ لَهَا إِلَّا أَنَّهَا أُنْثَى؛ وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ القُرْآنُ الكَرِيمُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الفِعْلَةَ الشَّنِيعَةَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ⑧ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ⑨﴾ [التكوير: 8 - 9].

[السيرة النبوية لعلي محمد الصلابي، ص:28 بتصرف]

1- بين (ي) من خلال النص ومن خلال مكتسباتك كيف حارب الإسلام موقف أهل الجاهلية من الأنثى.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(57-62) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: مَثَلُ السَّوْءِ - يُؤَاخِذُ - الْحُسْنَىٰ - لَا جَرَمَ.

2- بين (ي) من الآيات وصف الله تعالى للمكذبين باليوم الآخر.

3- استخرج (ي) من الآيات حكمة الله في إمهال العصاة.

الدرس
12

سورة النحل

﴿الآيات: 59 62﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أدرك كمال الله سبحانه وتعالى وتنزهه عن صفات النقص.

3 – أن أستشعر سعة رحمة الله وحلمه بعباده.

تمهيد

لما ذكر الله مجموعة من قبائح المشركين ومواقفهم الشركية، والتي كان من بينها ادعاؤهم أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله، ومنها وأدهم البنات؛ جاءت هذه الآيات لتبين أن مدار اتصافهم بتلك القبائح كلها هو كفرهم باليوم الآخر، وأن ما نسبوه لله تعالى من صفات النقص، ومظاهر الاحتياج والعجز، هو الوصف الأليق بهم. وأما الله تعالى فله المثل الأعلى، وله الوصف الباهر العجيب.

كما أشارت الآيات إلى سنة الله تعالى في إمهال العصاة والمشركين وعدم تعجيل العقوبة رحمة بهم لعلهم يتوبون ويرجعون قبل أن يأتيهم الأجل الذي لا يتقدم ولا يتأخر.

فما معنى المثل السوء والمثل الأعلى الوارد في الآيات؟ وكيف نستفيد من الآيات في عدم الاغترار بسنة الله تعالى في إمهال العصاة والمذنبين؟

الآيات

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (62)﴾ [النحل: 60 – 62]

الفهم

الشرح:

مَثَلُ : صفة السوء.

السَّوْءِ : مصدر ساءه، أي أساء إليه.

يُؤَاخِذُ : يعاقب.

دَآبَّةٍ : كل مخلوق يدب على الأرض.

أَجَلٍ مُّسَمًّى : وقت محدد لهم.

الْحُسْنَىٰ : الجنة.

مُّفْرَطُونَ : معجلون إلى النار مقدمون إليه. والفارط: السابق إلى الورد.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – بماذا وصف الله تعالى الذين لا يؤمنون بالآخرة؟

3 – بين (ي) الحكمة من سنة الله تعالى في إمهال العصاة؟

4 – ماذا نسب المشركون لله؟ وما هو جزاؤهم؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان الله للمشركين بأن له المثل الأعلى:

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين، صفة السوء. التي هي صفة قبيحة، فهم قد وصفوا الله بالنقص والحاجة إلى الولد، وهم أجدر أن يوصفوا بذلك لأن حياتهم متوقفة على الولد والاعتداد به إن كان ذكرا، وإن كان أنثى فهم يزهدون فيه ويرمونه في التراب، وتلك علامة على عجزهم وبخلهم.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: وله تعالى الصفة العليا، في الكمال المستغني به عن كل نقص، وهو سبحانه ذو العزة المطلقة والحكمة الشاملة، وهو المنزه عن الولد، وهو الله لا إله إلا هو، وله صفات الكمال والجلال من القدرة والعلم والإرادة، ونحو ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: وهو المنيع تكبرا وجلالا، لا يغلبه غالب، وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة البالغة.

قالت فرقة: ﴿مَثَلُ﴾ في هذه الآية بمعنى صفة، أي: لهؤلاء صفة السوء، ولله الوصف الأعلى.

قال القاضي أبو محمد بن عطية: وهذا لا يضطر إليه، لأنه خروج عن اللفظ، بل قوله: ﴿مَثَلُ﴾ على بابه، وذلك أنهم إذا قالوا: إن البنات لله؛ فقد جعلوا له مثلاً أَبُ البنات من البشر. وكثرةُ البنات عندهم مكروه ذميم.

ثانيا: سنة الله تعالى في إمهال العصاة:

لما وبخ الله تعالى المشركين على جعلهم لله البناتِ وهم يأنفون من نسبتهن لأنفسهم، وبعد وصف الله لفعلهم ذلك بأنه حُكم سوء، وبعدما عرفهم بأخصّ عقائدهم وهي أنهم لا يؤمنون بالآخرة؛ أتبع ذلك بالوعيد. فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ بين الله تعالى هنا رأفته بخلقه على ظلمهم، وأنه يمهلهم بالعقوبة إظهارا لفضله ورحمته، ولو آخذهم بما كسبت أيديهم، ما ترك على ظهر الأرض من دابة. أما الظالم فيؤخذ بظلمه، وأما غيره فبشؤمه، كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]، لكنه سبحانه يرحم ويستر من يشاء ويمهل من يشاء إلى أجل مسمى.

وقوله: ﴿يُؤَاخِذُ﴾ هو صيغة مفاعلة من أخذ، كأن أحد المتواخذين يأخذ من الآخر، فالله يؤاخذ الناس على معاصيهم، والمخلوقون يؤاخذ بعضهم بعضا على الإذاية.

وتفيد هذه الآية: أنه لو كان الله مؤاخذاً الخلق على شركهم لأفناهم وأفنى الدوابّ معهم، ولكنه لم يؤاخذهم.

والضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد على الأرض، فَهُوَ كِنَايَةٌ عن غير مذكور، لكن دل عليه قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ فإنَّ الدابَّة لا تدبُّ إلا على الْأَرض، أو أنه لم يجر لها ذكر لشهرتها، وتمكن الإشارة لها. ومنه قول تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [سورة "ص" 32]، ولم يجر للشمس ذكر.

وقوله: ﴿مِّن دَآبَّةٖ﴾ دخلت ﴿مِن﴾ لاستغراق الجنس. [تفسير الثعالبي 3 / 429]

وفي الصحيح قيل للنبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ» [صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن]

لأن البريء ظالم لنفسه بسكوته عن تقديم النصيحة أو لمجاراته في سلوكه.

ثالثا: نسبة المشركين إلى الله ما يكرهونه لأنفسهم:

قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ أي: وينسب هؤلاء المشركون إلى الله سبحانه ما يكرهون لأنفسهم، من البنات، والشركاء في الرياسة، ويدَّعون مع ذلك أنهم يدخلون الجنة، كما تقول لرجل أنت تعصي الله، وتزعم أنك ناج، فهذا بعيد المنال مع ما أنت عليه. ثم حكم عليهم بعد ذلك بالنار.

وهذا الجعل ينطوي على خصلتين من خصال الشّرك، وهما: نسبة البنوّة إلى الله تعالى، ونسبة أخسّ الأولاد إليه في نظرهم. فخصّت الأولى بالذكر بقوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ مع الإيماء إلى كراهتهم البنات كما تقدّم. وخصّت هذه بذكر الكراهية تصريحاً. ولذلك كان الإتيان بالموصول والصلة ﴿مَا يَكۡرَهُونَ﴾ هو مقتضى المقام الذي هو تفظيع قولهم وتشنيع استئثارهم بالأفضل.

وقد يكون الموصول للعموم فيشير إلى أنهم جعلوا لله أشياء يكرهونها لأنفسهم مثل الشريك في التصرّف، وأشياء لا يرضونها لآلهتهم ونسبوها لله كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:136].

وقوله: ﴿مَا يَكۡرَهُونَ﴾ يريد البنات، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قال مجاهد: الذكور من الأولاد، وهو الأسبق من معنى الآية، وقيل: الجنة. قال ابن عطية: ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾.

وقرأ السبعة سوى نافع: ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾ بفتح الراء وخفتها، ومعناه: مقدمون إلى النار والعذاب، وقد رويت عن نافع، وهو مأخوذ من فرَط الماء، وهم القوم الذين يتقدمون إلى المياه لإصلاح الدلاء والأرشية، ومنه قول النبي ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» [صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض]

وقرأ نافع وحده: ﴿مُّفۡرِطُونَ﴾ بكسر الراء وخفتها أي: يتجاوزون الحد في عصيان الله عز وجل.

وقد نبهت هذه الآيات إلى مقصد عظيم من المقاصد التي جاء الإسلام إلى تحقيقها ورد الاعتبار إليها، وهو مقصد المساواة بين الناس في الكرامة الإنسانية، والعيش والحياة، والتمتع بالاستقلالية،

والتحرر من التبعية والاضطهاد والعبودية. ولأجل هذا حارب الإسلام ما اعتاده أهل الجاهلية من احتقار للمرأة وحطٍّ من قيمتها، ومنعها من أسمى حقوقها وهو الحق في الحياة. حيث كانوا يئدون البنات وهن صغار، فنهاهم الله وحرم ذلك، وطهر المجتمع من هذه الظاهرة السيئة.

التقويم

1- استنتج (ي) من الآيات ما يجب لله من صفات الكمال.

2- ما هي سنة الله تعالى في العصاة وأهل الظلم؟

3- وضح (ي) حكم الله تعالى في الذين ينسبون لله البنات.

الاستثمار

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "ذَكَرَ -جَلَّ وَعَلَا- فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أَنَّهُ لَوْ عَاجَلَ الْخَلْقَ بِالْعُقُوبَةِ لَأَهْلَكَ جَمِيعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ حَلِيمٌ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ؛ لِأَنَّ الْعَجَلَةَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَخَافُ فَوَاتَ الْفُرْصَةِ، وَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ. وَذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ كَقَوْلِهِ فِي آخِرِ سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 46] وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف:57].

إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ. وَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 44]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت:53] [أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي 391/2 . بتصرف]

1- استخلص (ي) من النص سنة الله تعالى في عدم تعجيل العقوبة للمذنبين، و بين (ي) الحكمة من ذلك.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(63-67) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: **تَاللَّهِ** - **ٱلۡأَنۡعَٰمِ** - **فَرۡثٖ** - **سَآئِغٗا** - **سَكَرٗا** .

2- استخرج (ي) من الآيات دليل قدرة الله تعالى على البعث.

3- بين (ي) الآيات الكونية الدالة على قدرة الله وعظمته.

الدرس
13

سورة النحل

﴿الآيات: 63 - 67﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أبين (ي) البراهين والأدلة على قدرة الله تعالى.

3 – أن أحقق واجب الشكر لله تعالى وأحذر من إغواء الشيطان وكيده.

تمهيد

لم تزل وظيفة الشيطان هي جر الإنسان إلى سبل الشر والغواية، ووظيفة الأنبياء والرسل هي دعوة الناس إلى طريق الخير والهداية. ولما كان الشيطان قد أقسم أمام رب العزة على إضلال عباده وإغوائهم، كانت رحمة الله بعباده أوسع من مكر الشيطان وكيده. ومن تجليات رحمته تعالى بعباده أنه أرسل الرسل يعرفون الناس بالله، ويدلونهم عليه، ويذكرونهم بآياته ونعمه.

فما هو العمل الذي يقوم به الشيطان لإغواء الإنسان؟ وما هي وظيفة الأنبياء والرسل؟ وكيف يستطيع هذا الإنسان أن يستفيد من آيات الله الكونية في تقوية الإيمان بقدرة الله؟

الآيات

قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (66) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 63-67]

الفهم

الشرح:

تَاللَّهِ : صيغة قسم. والتاء حرف قسم، يختص بالدخول على لفظ الجلالة.

فَزَيَّنَ : حسن لهم إبليس أفعالهم القبيحة.

وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ : ناصرهم يوم القيامة.

لَعِبْرَةً : لدلالة على قدرة الله وعظمته.

فَرْثٍ : ما ينزل إلى الأمعاء من المأكول.

خَالِصًا : صافيا.

سَائِغًا : سهل المرور في الحلق.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بين (ي) من خلال الآيات وسيلة الشيطان في الإغواء والإضلال؟

2- استخرج (ي) من الآيات وظيفة الأنبياء والرسل.

3- بين (ي) الآيات الكونية الدالة على قدرة الله وعظمته.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض وسائل الشيطان في الإغواء والإضلال:

قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقسم الله تعالى في هذه الآية بنفسه، أنه أرسل رسُلا قبل النبي ﷺ، جاءوا بمثل ما جاء به الرسول ﷺ إلى أمته من التوحيد والإخلاص والابتعاد عن الشرك؛ لكن الشيطان أغواهم وزيَّن لهم عبادة الأوثان والأصنام، حتى كذّبوا رسلهم، ورفضوا ما جاءوا به من عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي فالشيطان هو ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر والمعين. ولهم في الآخرة عذاب أليم جزاء لهم على اتخاذهم الشيطان وليّا من دون الله.

وهذه الآية فيها وعيد وتهديد من الله تعالى للمشركين على ما قاموا به من كفر وتكذيبٍ للنبي ﷺ. وفيها أيضا مؤانسة للنبي ﷺ بأنه ليس وحده من كذبه قومه، بل هذه سنة الله في سائر الأمم مع أنبيائهم ورسلهم.

ثانيا: حصر مهمة الرسول في البيان عن الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تبين هذه الآية أن الغاية من بعثة الرسول ﷺ، وإنزال القرآن الكريم عليه هي بيان الحق للناس، وتوضيح ما اختلفوا فيه من دين الله تعالى، وإقامة الحجة عليهم.

والأمر الذي اختلفوا فيه هو جحودهم لله تعالى، وإشراكهم الأصنام مع الله في العبادة. ويدل على هذا المعنى أن الله ساق بعد هذه الآية مجموعة من الآيات الدالة على أن كل النعم إنما هي من الله تعالى، لا من الأصنام.

وقد أشارت الآية إلى بيان بعض صفات النبي ﷺ التي تتجلى من خلال سيرته ودعوته، وهذه الصفات هي: الهداية إلى طريق الله المستقيم، والرحمة بالمؤمنين الذين آمنوا برسول الله، واتبعوه على ما جاء به من عند الله تعالى.

وخصت الآية هنا الرحمة بالمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 129] وهي رحمة خاصة بالمؤمنين، زيادة على الرحمة العامة التي يقتضيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:106]

ثالثا: تدبر الآيات الكونية الدالة على قدرة الله:

لما أمر الله نبيه ﷺ ببيان ما اختلف فيه المشركون، ذكر بعد ذلك مجموعة من الآيات الكونية الدالة على قدرة الله والمبينة أنه تعالى هو المستحق للعبادة دون سواه. ومن هذه الآيات:

آية الله في المطر: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بدأ الله هنا بنعمة المطر لأنها في غاية الظهور والبيان. والمعنى: هو الذي أنزل من السماء مطرا، فأنبت به أنواعا مختلفة من

النبات في أرض ميتة يابسة، لا زرع فيها ولا عشب. إن في ذلك الإحياء بعد الموت لدليلا واضحا، وحجة قاطعة على وحدانيته تعالى وعلمه وقدرته لمن يسمع هذا القول ويتدبره.

وفي قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعارة وتشبيه، حيث تم تشبيه القلوب الضالة بالأرض اليابسة التي لا نبات فيها، وتشبيه الوحي الذي يحيي القلوب بالإيمان بالمطر الذي يحيي الأرض بالنبات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ هذا تعريض بالمشركين لأنهم لو كانوا يسمعون، لانتفعوا بهذه الآية واستدلوا بها على الله تعالى، وتركوا ما هم عليه من الشرك والعبادة لغير الله.

آية الله في الأنعام: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ تبين هذه الآية أن من آيات الله ودلائل قدرته الباهرة، وبديع صنعه المحكم، أنه تعالى يخرج من بطون الأنعام لبنا خالصا صالحا للشرب والانتفاع به، لذيذ الطعم، سهل التناول؛ مع أنه يخرج من بين فرث ودم.

وبيان هذه القدرة الإلهية يتجلى في أن البهيمة من الأنعام تأكل ما تشاء من النبات والعشب، فيصير ذلك الأكل في بطن الحيوان عبارة عن خليط يخرج منه بقدرة الله دمٌ يسري في العروق ينتفع به الجسم. وتستمر به الحياة، وإذا وصل ذلك الدم إلى الضرع تحوَّل بقدرة الله تعالى إلى لبن خالص لا يختلط به شيء مما كان عليه من الفرث والدم في لونه وطعمه.

وجاء الضمير مذكرا في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ لأنه عائد على جنس الأنعام.

وقوله: ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ أي: سهل المرور في الحلق، فلا يَغَصّ به شاربه.

آية الله في ثمرات النخيل والأعناب: بعد أن ذكر الله اللبن، وبين أنه جعله شرابا سائغا للشاربين، ذكر ما يتخذ من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب. فقال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾. هذه الآية تشير إلى مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى الموجبة للإيمان والخضوع لعظمته. وهي أنه تعالى جعل من ثمرات النخيل والأعناب ما يستخرج منه الإنسان شرابا ينتفع به، وثمرا يأكله ويستفيد منه.

والسَّكَر المذكور في الآية اختُلف في معناه على أقوال. وذهب الإمام الطبري إلى أن السكَر في كلام العرب هو ما يطعَم. أي: يؤكل.

وختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأن الفائدة والعبرة من الآية المذكورة لا تحصل إلا بالتأمل والتدبر في ملكوت الله تعالى، ولا سبيل لذلك إلا بالعقل الذي وهبه الله تعالى للإنسان.

والعلاقة بين هذه الآيات الثلاث التي ساقها الله تعالى هي: أنها قائمة على استخراج بعض الأشياء من بعض استخراجا نافعا للإنسان. فآية المطر تتجلى في أن الله استخرج من السحاب ماء نافعا أحيا به الأرض بعد موتها. وآية الأنعام تتجلى في أن الله تعالى استخرج من بين فرث ودم من بطونها لبنا خالصا به ينتفع الإنسان، وبسببه يقيم جسمه. وفي آية ثمرات النخيل والأعناب يسر الله للإنسان أن يستخرج من هذه الثمرات عصيرا طيبا حلالا يشربه، ورزقا حسنا يأكله وينتفع به. وتشير هذه الآيات إلى تحقيق مقصد الوجود، وذلك بترسيخ الإيمان بقدرة الله تعالى من خلال النظر والتأمل في آياته الكونية باختلاف أنواعها وأشكالها. كما أن هذه الآيات ساقها الله تعالى دليلا على الإيمان به لأن هذه النعم لا يقدر عليها إلا الله تعالى. ومن ثم وجب الاستدلال بها على المنعم جل جلاله.

التقويم

1 – استنتج (ي) من الآيات طريقة الشيطان في إضلال الإنسان

2 – بين (ي) من خلال الآيات ما أوجبه الله على الرسول في الدعوة إلى الله.

3 – استنتج (ي) من خلال الآيات مظاهر قدرة الله الدالة على عظمته سبحانه؟

4 – ماذا تستفيد من قوله تعالى ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾؟

الاستثمار

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «إِنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ مُبَيِّنًا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَإِقْرَارِهِ؛ لَمَّا كَانَ مُكَلَّفًا بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44] فَكَانَ يُبَيِّنُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كَمَا قَالَ فِي حَدِيثِ الطَّلَاقِ: «فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ» [صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء...] وَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ سَأَلَتْهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق 8] «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ» [صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا]

وَقَالَ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ» «إِنَمَا غَيْثُ بِذَلِكَ كَذَلِكَ كَذَا و كَذَا» [صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق] وَكَانَ أَيْضًا يُبَيِّنُ بِفِعْلِه: «أَلَا أَخْبَرْتِهِ أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ» [الموطأ للإمام مالك، كتاب الصيام، باب ماجاء في الرخصة].

وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ الآية [الأحزاب:37] وَبَيَّنَ لَهُمْ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ وَالْحَجِّ بِفِعْلِهِ، وَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: :«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» [صحيح البخاري كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

[الموافقات للإمام الشاطبي بتصرف، ج: 4/73 - 75]

1- وضح (ي) من خلال النص كيف كان الرسول ﷺ يبين الوحي للناس.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (68-70) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ - وَمِمَّا يَعْرِشُونَ - ذُلُلًا - أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ .

2- بين (ي) معنى الوحي الذي أوحى الله به إلى النحل.

3- وضح (ي) الحكمة من سنة الله في اختلاف الآجال والأعمار.

الدرس 14

سورة النحل

﴿الآيات: 68 – 70﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أبين دلائل قدرة الله تعالى في خلق النحل.

3 – أن أدرك قيمة الحياة وحكمة الله في اختلاف الأعمار.

تمهيد

بعدما أشارت الآيات في الدرس السابق إلى بيان بعض آيات الله الكونية وأثرها على الإنسان، وما أودع الله فيها من نعم، أتبع ذلك ببيان آية أخرى من آياته، ومظهر من مظاهر قدرته. وهي آية خلق النحل وإلهامه كيفية تدبير أموره في الحياة. كما لفتت الآيات الانتباه إلى بيان سنة الله تعالى في اختلاف الأعمار والموت والحياة، وحكمة الله تعالى في كل ذلك.

فما هي تجليات عظمة الله في خلق النحل وإلهامه؟ وما هي الحكمة من سنة الله في اختلاف الآجال والأعمار؟ وكيف نستفيد من الآيات في ترسيخ إيماننا بالله تعالى؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 68–70]

الفهم

الشرح:

﴿وَأَوْحَىٰ﴾ : أي: وألهم. والوحي ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر.

﴿يَعْرِشُونَ﴾ : يبنون بفروع الشجر وأغصانه. وعرش أي: هيأ.

﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ : سيري في طرق ربك لطلب الرزق في كل مكان.

﴿ذُلُلًا﴾ : طائعة سهلة المسالك.

﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ : فترة الهرم والشيخوخة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بين (ي) بديع صنع الله في خلق النحل.

2- ما هي الأشياء التي أوحى الله بها إلى النحل؟

3- وضح (ي) الحكمة من سنة الله في اختلاف الآجال والأعمار.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بديع صنع الله في خلق النحل:

يتجلى بديع صنع الله وإعجازه في خلق النحل من خلال إلهامه للقيام بالأمور الآتية:

- **إلهام الله للنحل باتخاذ البيوت من الجبال والشجر والعريش:** قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: أوحى الله تعالى إلى النحل وحي إلهام وتوفيق لأن تتخذ بيوتها من هذه الأنواع الثلاثة: إما من الجبال، وإما من الأشجار، وإما مما يعرش الناس من الأجباح، والحيطان ونحوها.

وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ الوحي في اللغة: إلقاء المعنى من الموحِي إلى الموحَى إليه في خفاء. فمنه: الوحي إلى الأنبياء برسالة الملكّ، ومنه وحي الرؤيا، ومنه الوحي بمعنى الأمر، ومنه وحي الإلهام، وهو الذي في هذه الآية باتفاق المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ يقال عرش يعرِش، بكسر الراء وضمها، معناه: هيأ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من إتقان الأغصان والخشب، وترتيب ظلالها. ومنه العريش الذي صُنع لرسول الله ﷺ يوم بدر.

- إلهام الله للنحل بالأكل من كل الثمرات: قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ هذا من إلهام الله للنحل أن تأكل من كل الثمرات، من حلوها ومرها. وأن تسلك جميع الطرق التي يسرها الله لها، من أجل أن تطلب الثمار والأزهار، فلا يعسر عليها طريق مهما كان صعبا، ولا تضل الطريق أثناء عودتها وإن كانت المسافات بعيدة جدا.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ هذا تعديد من الله تعالى للنعمة، وتنبيهٌ على العبرة. وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل. وسمي العسل شرابا لأنه يشرب مع الماء وغيره. وكونه مختلف الألوان، أي: يكون منه الأبيض والأصفر والأحمر؛ لاختلاف ما يؤكل من الثمرات ونَوْرها وأزهارها بحسب اختلاف النحل والمراعي، كما أن طعم العسل يختلف بحسب اختلاف الأمكنة. فمنه الحلو والمر.

وقد أدرك الناس في هذا العصر بواسطة وسائل التصوير الحديثة عجائب قدرة الله تعالى في أمر النحل. فالنحلة تمتص رحيق الأزهار، فينزل ويجتمع في كيس في بطنها، ثم يمتزج بعصارة خاصة فيتحول إلى عسل، ثم تعود النحلة إلى الخلية فتفرز العسل من فمها، في البيوت الشمعية التي خصصت لتخزين العسل. وكلما امتلأ بيت منها غطته بطبقة من الشمع، وانتقلت إلى بيت آخر.

وقوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل. والجمهور على أن الكلام لا يقتضي العموم في كل داء، وفي كل إنسان، بل هو خبر عن أنه يشفي، كما يشفي غيره من الأدوية في بعض الأمراض دون بعض. ففائدة الآية: إخبار للتنبيه على أنه دواء.

عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ فقال رسول الله ﷺ «اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ، ثم جاءه فقال: إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» فَقَالَ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فقال رسول الله

ﷺ: «صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ [صحيح مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بسقي االعسل].

وروى البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشِّفَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ». [صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن فيما ذكر من أمر النحل لدلالة واضحة على قدرة الله تعالى وبديع صنعه لمن تفكر في شأن النحل، وتدبر في عجيب أمره.

ثانيا: حكمة الله في الموت والحياة واختلاف أعمار العباد:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾
يبين الله تعالى في هذه الآية كمال قدرته، التي تتجلى في خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئا مذكورا، وأنه سبحانه وتعالى بيده حياة هذا الأخير، فهو القادر وحده على أن يتوفاه ويقبض روحه، وقادر على أن يطيل عمره حتى يصل إلى آخر العمر حيث يشيب ويهرم.

والعبرة في هذا المشهد العظيم من مشاهد قدرة الله، أن هذا الإنسان لا يليق به أن يتكبر على مولاه، ولا أن يتمادى في غيه وهواه لأن حياته وموته بيد الله وأمره إلى الله. وأرذل العمر ليس منحصرا في مدة معينة، فرُبَّ من يكون ابن خمسين سنة وهو في أرذل عمره. ورب من يكون ابن مائة وعشرين وليس في أرذل عمره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أي: إن الله عليم بما يفعل في خلقه بما تقتضيه حكمته. وهو قدير لا يعجزه شيء.

وتشير هذه الآيات إلى بيان تفضل الله تعالى على عباده بالنّعم المختلفة التي عدّدها الله تعالى من أجل الإنسان وانتفاعه بثمرات الكون، وتضمن هذا التعداد الإرشاد لبيان مظاهر قدرة الله سبحانه، وإثبات وجوده وتوحيده، لأن خلق النّعم وسائر الأفعال الصادرة عن الإنسان إنما هي من الله تعالى، لا من الأصنام وطواغيت الأوثان والمعبودات من دون الله، فهي مخلوقة لا خالقة، وعاجزة غير قادرة على شيء من الإبداع والخلق.

التقويم

1- ما معنى الوحي الوارد في الآيات؟

2- استنتج (ي) من الآيات دلائل قدرة الله تعالى في خلق النحل وإلهامه.

3- بين (ي) سنة الله تعالى في الحياة والموت، واختلاف الأعمار.

4- ماذا تستفيد من قوله تعالى ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾؟

الاستثمار

قال الإمام الغزالي رحمه الله: «أُنْظُرْ إِلَى النَّحْلِ كَيْفَ أَوْحى اللهُ إِلَيْهَا حَتَّى اتَّخَذَتْ مِنْ الجِبَالِ بُيُوتًا. ثُمَّ لَوْ تَأَمَّلْتَ عَجَائِبَ أَمْرِهَا فِي تَنَاوُلِهَا الأَزْهَارَ وَالأَنْوَارَ، وَاحْتِرَازِهَا مِنْ النَّجَاسَاتِ وَالأَقْذَارِ، وَطَاعَتِهَا لِوَاحِدٍ مِنْ جُمْلَتِهَا، وَهُوَ أَكْبَرُهَا شَخْصًا، وَهُوَ: أَمِيرُهَا، ثُمَّ مَا سَخَّرَ اللهُ لِأَمِيرِهَا مِنْ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ بَيْنَهَا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتُلُ مِنْهَا عَلَى بَابِ المَنْفَذِ كُلَّ مَا وَقَعَ مِنْهَا عَلَى نجاسةٍ؛ لَتَأَمَّلْتَ إِنْ كُنْتَ بَصِيرًا فِي نَفْسِكَ، وَفَارِغًا مِنْ هَمِّ بَطْنِكَ وَفَرْجِكَ، وَشَهَوَاتِ نَفْسِكَ فِي مُعَادَاةِ أَقْرَانِكَ، وَمُوَالَاةِ إِخْوَانِكَ».

[إحياء علوم الدين للغزالي بتصرف، ج: 4/319]

1- بين (ي) من خلال النص و مكتسباتك السابقة بعض جوانب العظمة في خلق الله للنحل؟

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(71-74) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ - مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ - يَجْحَدُونَ - وَحَفَدَةً.

2- استخرج (ي) النعم التي ذكّر الله تعالى بها في الآيات.

3- بين (ي) كيف شنع الله تعالى على المشركين عبادة الأصنام والأوثان.

الدرس
15

سورة النحل
﴿الآيات: 71 74﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أدرك صورا من تفاوت الناس في الأرزاق.

3 – أن أنزه الله تعالى عن الأمثال والأنداد.

تمهيد

لما بينت الآيات السابقة دلائل قدرة الله تعالى في شأن بعض مخلوقاته الضعيفة، وكيفية تدبير شأنها وتصريف أمرها، حيث سخر لها الأرزاق وذلل لها السبل؛ أتبع ذلك بهذه الآيات التي تبين تدبير الله تعالى لشأن الإنسان وأمره؛ فقد قسم الأرزاق بين الناس فجعل منهم الغني والفقير، وأنعم على الإنسان بجعل الزوجات من جنس الأزواج وشكلهم، وأنعم سبحانه بنعمة الأولاد والأحفاد، ورزقهم من طيبات الثمار والحبوب والحيوان وغير ذلك ما تتحقق به راحتهم في الدنيا ، ويطيب به عيشهم.

فما هي حكمة الله تعالى في اختلاف الأرزاق بين الناس؟ وما هي النعم التي امتن الله بها على عباده في هذه الآيات؟ وكيف شنع الله تعالى على المشركين عبادة الأصنام والأوثان؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74)﴾ [سورة النحل الآيات: 71–74]

الفهم

الشرح:

بِرَآدِّي : بمعطي.

يَجْحَدُونَ : يكفرون.

حَفَدَةً : جمع حفيد وهو ولد الولد.

أَلْأَمْثَالَ : الأنداد والنظائر.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – ما هي سنة الله تعالى في تدبير أرزاق الناس؟

2 – استخرج (ي) من الآيات النعم التي امتن الله بها على عباده.

3 – كيف شنع الله تعالى على المشركين عبادة الأصنام والأوثان؟

التفسير

اشتملت الآيات على مايأتي:

أولا: تفضيل الله بعض الناس على بعض في الرزق:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ تبين الآية أن الله تعالى جعل الناس متفاوتين في أرزاقهم، فمنهم الغني والفقير، والمالك والمملوك. ولم يجعل الله كثرة الرزق وقلته متوقفة على حيلة العباد في الكسب؛ فقد يكون صاحب الحيلة والمعرفة بطرق المعايش والكسب فقيرا، ويكون ضعيفُ الحيلة وقليل العلم صاحب مال كثير؛ وهذا الأمر يشاهده الإنسان ويراه في حياته. وفي هذا المعنى يقول سفيان بن عيينة رحمه الله:

كم من قويٍّ قويٍّ في تقلُّبه *** مهذَّبِ الرأي عنه الرزق منْحَرفُ

ومِن ضعيفٍ ضعيفِ العقلِ مختلطٍ *** كأنه من خليج البحر يغْتَرِفُ

وقوله تعالى: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ هذا مثَلٌ ضربه

الله تعالى للعبرة والاتعاظ. ومعناه: إذا كنتم لم ترضوا بالمساواة بينكم وبين خدَمكم، وهم أمثالكم في الإنسانية؛ فكيف تسوُّون بين الخالق والمخلوق؟ وبين الخالق سبحانه وهذه الأصنام؟

وهذا المثل ساقه الله تعالى للتشنيع على المشركين الذين كانون يزعمون بأن أصنامهم شركاء لله تعالى. ولأجل ذلك كانوا يقولون في تلبية الحجّ (لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك) فبين الله بهذا المثل كيف أنهم لا يرضون أن يكون عبيدهم شركاء لهم في شيء من المال، ويأنفون من ذلك مع أنهم سواء في الجنس، ثم يقولون في حق الله تعالى ما لم يرضوا به لأنفسهم وهو أنهم جعلوا الأصنام شركاء لله تعالى.

وقد ضرب الله في آية أخرى مثلا لذلك فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم 27]

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أوقفهم الله تعالى على جحودهم لنعمته. لأنهم أشركوا مع الله أصنامهم، وتركوا المنعم عليهم. ومن نعم الله العظمى عليهم أن الله أقام عليهم الحجة، ووضح لهم المحجة، وأرسل لهم الرسول ﷺ.

ثانيا: التذكير ببعض نعم الله تعالى على عباده:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أي: ومن عظيم إنعام الله تعالى على عباده أن جعل لهم أزواجا من جنسهم و على شكلهم لتحقيق الأنس والانسجام والائتلاف وقضاء المصالح. ومن رحمته أيضا أن جعل الذكور والإناث من جنس واحد.

جاء في الحديث: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا عَبْدِي أَلَمْ أُكْرِمْكَ، أَلَمْ أُسَوِّدْكَ، أَلَمْ أُزَوِّجْكَ، أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ، وَالْإِبِلَ، وَأَتْرُكْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ؟». [صحيح ابن حبان، كتاب السير باب فضل النفقة في سبيل الله]

قال ابن عباس (الحفدة) أولاد زوجة الرجل من غيره. ولا خلاف أن معنى الحَفْد: الخِدمة والبِر والمشي مسرعا في الطاعة، ومنه في القنوت: وإليك نسعى ونَحْفِد، والحَفَدَان خبَبٌ فوق المشي.

وقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: ورزقكم من لذيذ المطاعم والمشارب، وجميل الملابس والمساكن ما تنتفعون به إلى أقصى الحدود وأبعد الغايات.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أفَهم بعد هذا البيان الواضح والدليل الظاهر يوقنون بأن الأصنام شركاء لربهم ينفعونهم ويضرونهم ويشفعون لهم عنده، وأن البحيرة والسائبة والوصيلة حرام

عليهم، كما حرمها لهم أولياء الشيطان؟ وليس بعد هذا تأنيب وتوبيخ؛ إذ ساقه الله في سياق الشك، وطلب منهم الجواب عنه .

وقرأ الجمهور ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وتجيء الآية على هذه القراءة إظهارا لمحمد ﷺ إيمانهم بالباطل وكفرهم بنعمة الله. وقرئت ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ بالتاء من فوقُ، على معنى قل لهم يا محمد.

وقوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: وهم بهذه النعم الظاهرة عليهم من ربهم يكفرون، فيضيفونها إلى غير الخالق، وينسبونها إلى غير موجدها من صنم أو وثن.

ثالثا: نهي الله عن ضرب الأمثال له بالأصنام:

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السماوات، فلا تقدر على إنزال المطر، ولا إنبات النبات، ولا تستطيع غير ذلك مما أنعم الله به على عباده.

وهذا مثل ضربه الله للمشركين بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والحر الكريم الغني الإنفاق سرا وجهرا. هل يستويان؟

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: فلا تجعلوا لله مثلا، ولا تشبهوه بخلقه، فإنه لا مثل له ولا شبيه، فهو كقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: 21] وضرْب المثل للشيء: ذكر الشبيه له ليوضح حاله المبهمة، ويزيل ما عرض من الشك في أمره .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن الله يعلم كنه ما تفعلون من الإجرام وعظيم الآثام، وهو معاقبكم عليه أشد العقاب، وأنتم لا تعلمون حقيقته ولا مقدار عقابه. ومن ثم تجرأتم عليه، ونسبتم إلى الأصنام ما لم يصدر منها.

وتشير الآيات السابقة إلى بيان كون النعم المذكورة في مطلع هذه الآيات. وهي نعمة الرزق والأزواج والذرية، على الرغم من ظهورها؛ قد غفل عنها الإنسان، ونسي خالقه المنعم بها، وعطل عقله في إدراك هذه النعم وشكر الله عليها. كما أشارت الآيات أيضا إلى أنه لا يقبل من الإنسان الذي فضله الله تعالى بالعقل أن يركن إلى شيء دون الله تعالى، أو يعتمد عليه في تحقيق المنافع أو دفع المضار. فمن فعل ذلك فقد ضرب لله الأمثال، وليس لله مثيل.

التقويم

1 – استنتج (ي) من الآيات سنة الله في قسمة الأرزاق.

2 – ما هي أنواع النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده في هذه الآيات؟

3 – ما هو المثل الذي ساقه الله تعالى لبيان جهل المشركين؟

4 – حدد (ي) معنى الباطل الذي يؤمن به المشركون، والنعمة التي يكفرون بها.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (31) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (32) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (33) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (34)﴾ [الزخرف: 31 – 34]

انطلاقا من بعض التفاسير تأمل (ي) الآيات وأجب/ أجيبي عما يأتي:

1 – ما هي حكمة الله تعالى في تفاوت الأرزاق؟

2 – بين (ي) حكمة الله تعالى في عدم إغناء الكفار.

3 – بماذا سلَّى الله تعالى فقراء المؤمنين؟

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (75–77) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1 – اشرح (ي) العبارات الآتية: عَبْدًا مَّمْلُوكًا – أَبْكَمُ – كَلٌّ – كَلَمْحِ – الْبَصَرِ.

2 – استخرج (ي) من الآيات مثالين ضربهما تعالى لبيان فساد عقائد المشركين.

3 – بين (ي) من الآيات صفة العلم الواجبة لله تعالى.

الدرس 16

سورة النحل

﴿الآيات: 75 – 77﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أدرك صورا من ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

3 – أن أرسخ إيماني ويقيني بعلم الله لغيب السماوات والأرض.

تمهيد

إن شأن الإله المعبود أن يكون مالكا قادرا على التصرف المطلق في الأشياء، وعلى نفع غيره ممن يعبدونه، وتلك كلها أوصاف يتصف بها الله عز وجل، فكيف يعقل أن يقارَن الله المتصف بهذه الصفات وبكل صفات الكمال والجلال، بالأصنام والأوثان التي لا تسمع ولا تنفع، ولا تعي ولا تعقل، وقد جاءت هذه الآيات بالمثل الواضح لبيان هذه الحقيقة.

فما هو المثل الذي ضربه الله تعالى في هذه الآيات؟ وكيف نستفيد من ذلك؟ وما هي مظاهر صفة العلم الواجبة له سبحانه؟

الآيات

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77)﴾

[سورة النحل الآيات: 75–77].

الفهم

الشرح:

رِزْقاً : الرزق هو ما يقع الاغتذاء به.

أَبْكَمُ : أخرس لا يقْدر على الكلام.

يُوَجِّههُّ : يرسله في وجه معين من الطريق.

كَلٌّ : بفتح الكاف الثقل والمئونة وكل محمول فهو كلّ.

كَلَمْحِ الْبَصَرِ : كنظرة خاطفة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هي العبرة من المثل الذي ضربه الله تعالى بالحر والعبد؟

2- لماذا ضرب الله المثل بالعبد العاجز والحر المتصرف؟

3- استخرج (ي) من الآيات بَعْضَ مظاهر صفة العلم الواجبة لله تعالى.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان ضلال المشركين بضرب الأمثال:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام التي أشركوها مع الله تعالى. أي: مَثلُ هؤلاء في إشراكهم مثلُ من سوَّى بين عبدٍ مملوكٍ عاجزٍ عن التصرف، وبين حرٍّ مالك يتصرف في أمره كيف يشاء، مع أنهما سيّان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ هذا مثَلٌ اتخذَ الله فيه عبدا بهذه الصفة، وهي: أنه مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من أمر نفسه، وإنما هو مسخر بإرادة سيده، ولا يلزم منه أن يكون العبيد كلهم بهذه الصفة.

والرزق ما صح الانتفاع به، وليس خاصا بما وقع الغذاء به كما زعم بعضهم، ومما يدل على أن معنى الرزق أعم قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 2] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [البقرة: 252].

والرزق مراتب، أعلاها: ما يتم الاغتذاء به، وقد حصر رسول الله ﷺ وجوه الانتفاع بالرزق في قوله ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟».

[صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حدثنا قتيبة بن سعد]

وقوله ﷺ «أَوْ لَبِسْتَ» قال ابن عطية: وفي معنى اللباس يدخل المركوب ونحوه.

وقد اختُلف فيمن وقع له هذا التمثيل، فذهب مجاهد والضحاك: إلى أن هذا المثال والمثال الآخر الذي بعده إنما هو لله تعالى والأصنام، فتلك هي للعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى تتصرف قدرته دون معقب. وهذا التأويل أصوب عند ابن عطية، لأن الآية تكون من معنى ما قبلها وما بعدها في تبين أمر الله والرد على أمر الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الحمد الكامل لله خالصا دون ما تدعون من دونه من الأوثان، فإياه فاحمدوا، فليس للأوثان عندكم من يد ولا معروف فتحمد عليه، وإنما الحمد لله، ولكن أكثر هؤلاء الكفار الذين يعبدون غير الله لا يعلمون ذلك.

والآية تفيد شكر الله تعالى على بيان الأمر بهذا المثال، وعلى إذعان الخصم له. وهذا كما تقول لمن أذعن لك في حجة وسلَّم ما تبني عليه قولك: الله أكبر، على هذا يكون كذا وكذا، فلما قال تعالى هنا: ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾؟ فكأن الخصم قال له لا. فقال: الحمد لله ظهرت الحجة.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد لا يعلمون أبدا ولا يداخلهم إيمان، ويتحقق على هذا قوله: أَكْثَرُهُمْ، لأن الأقل من الكفار هو الذي آمن من أولئك، ولو كان معنى قوله لا يَعْلَمُونَ أي الآن، لكان قوله أَكْثَرُهُمْ بمعنى الاستيعاب لأنه لم يكن أحد منهم يعلم.

ثانيا: بيان عجز آلهة المشركين عن نفع نفسها فضلا عن غيرها:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (76)﴾ أي: ضرب الله مثلا لنفسه وللآلهة التي يعبدونها من دونه، مَثَلَ رجلين:

أحدهما: أخرس أصم لا يَفهم ولا يُفهِم، فلا يقدر على شيء مما يتعلق بنفسه أو بغيره، وهو عالة على من يعوله، حيثما يرسله مولاه في أمر لا يفلح.

ثانيهما: رجل سليم الحواس عاقل، ينفع نفسه وينفع غيره، يأمر الناس بالعدل، وهو على سيرة صالحة ودين قويم، هل يستويان؟

كذلك الصنم لا يسمع شيئا ولا ينطق لأنه إما خشب منحوت، وإما نحاس مصنوع، لا يقدر على نفع من خدمه، ولا دفع ضر عنه، وهو كَلٌّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه، وهو لا يعقل ما يقال له فيأتمر بالأمر، ولا ينطق فيأمر وينهى، هل يستوي هو ومن يأمر بالحق ويدعو إليه، وهو الله الواحد القهار الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ! وهو مع أمره بالعدل على طريق مستقيم، لا يزيغ عن الحق ولا يزول عنه.

ثالثا: من صفات الله تعالى العلم المطلق والقدرة على كل شيء:

لما مثل سبحانه نفسه بمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، ومستحيل أن يكون كذلك إلا إذا كان كامل العلم والقدرة، أتبع ذلك بما يدل على كمال علمه، وكمال قدرته، وأنه الفاعل المختار، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: ولله علم ما غاب عن أبصاركم في السماوات والأرض، مما لا اطلاع لأحد عليه إلا أن يطلعه الله، والمراد به جميع الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين التي لا سبيل إلى إدراكها حسا، ولا إلى فهمها عقلا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ أي: وما شأنها في سرعة المجيء إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، أو هو أقرب من هذا وأسرع؛ فلو اتفق أن يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كلمح البصر أو هي أقرب من ذلك لأنه إنما يكون بقول ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ونحو الآية قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: 50]،

أي: فيكون ما يريد كطرف العين. وقريب من هذا قوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: 27].

و(أَوْ) تفيد هنا الشك، وقيل هي للتخيير، والتعبير بالاستثناء بعد النفي يفيد الحصر، والمعنى: أن العلم بالمغيبات ليس إلا لله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: إن الله قادر على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فهو قادر على إقامة الساعة في أقربَ من لمح البصر.

وبيان هذا المعنى أن القيامة لما كانت آتية ولا بدّ، صارت لقربها كَلَمْح الْبَصَرِ كما يقال: ما السنة إلا لحظة. إلا أن قوله: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ يرد قول من قال: إن الكلام على جهة التخويف. ويسوغ حمل المعنى على أن ما بقي لقيام الساعة مما مضى من عمر الدنيا، هو يشبه زمن طرفة العين أو أقل من ذلك بالنسبة لعمر أحدكم.

وتلخص الآيات الكريمة ما تتميز به عقيدة التوحيد من تحرير الانسان من عبودية غير الله، وجعله مالكا لنفسه، حرا في تصرفاته، محررا من قيود المخلوقات، متميزا بالعقل الذي فضله الله به. مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

التقويم

1- بين (ي) أركان التشبيه ووجه الشبه في المثلين اللذين ضربهما الله تعالى في الآيات.

2- ما هي صفات العجز التي وصف الله تعالى بها الأصنام في الآيات؟

3- حدد (ي) الصفات الدالة على استحقاق الله تعالى للعبادة دون سواه.

4- ما هو المقصد الأساسي الذي تهدف الآيات إلى تحقيقه وتحققه؟

الاستثمار

قال الإمام السيوطي في الدر المنثور «إِنَّ اللهَ ضَرَبَ الْأَمْثَالَ على حَسَبِ الْأَعْمَالِ فَلَيْسَ عَمَلٌ صَالحٌ إِلَّا لَهُ الْمَثَلُ الصَّالِحُ وَلَيْسَ عَمَلُ سُوءٍ إِلَّا لَهُ مثلُ سُوءٍ وَقَالَ: إِن مَثَلَ الْعَالِمِ الْمُتَفَهِّمِ كطَرِيقٍ بَيْنَ شَجَرٍ وجَبَلٍ فَهُوَ مُسْتَقِيمٌ لَا يَعْوَجُّه شَيْءٌ فَذَلِك مَثَلُ العَبْدِ الْمُؤمِنِ الَّذِي قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعمِلَ بِهِ».

[الدر المنثور في التأويل بالمأثور السيوطي:151/5]

1– استخرج (ي) المعاني الواردة في النص، مبينا (ة) تجلياتها من خلال الدرس.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (78–80) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) الكلمات الآتية: بُيُوتًا – تَسْتَخِفُّونَهَا – ظَعْنِكُمْ –وَأَوْبَارِهَا–أَثَاثًا .

2– حدد (ي) من الآيات ما أنعم الله به على الإنسان من وسائل التعلم.

3– بين (ي) من خلال الآيات قدرة الله تعالى في خلق الطير وتسخيره.

الدرس 17

سورة النحل

﴿الآيات: 78 – 80﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات دلائل قدرة الله تعالى المتجلية في نعمه.

3 – أن أحقق شكر الله تعالى على نعمتي العلم وتسخير الأنعام.

تمهيد

يجيء الإنسان إلى هذه الحياة بغير حول منه ولا قوة، والله امتنن عليه بنعمة الإيجاد، ثم ما يلبث وهو في غاية العجز والضعف أن يمتن الله عليه بنعمة الإمداد، فيفيض الله عليه من نعمه ما ينتقل به من ضعف إلى قوة، ومن جهل بكل بشيء ، إلى علم ما يدرك به كيف يؤدي دوره في الحياة، ومن عجز عن أكله وشربه ولباسه إلى قدرة على تسخير الكون واستغلاله. وتأتي هذه الآيات لبيان مظاهر من إنعام الله تعالى على عباده ، والتي من أهمها إنعامه على الإنسان بوسائل اكتساب العلم والمعرفة ونعمة تسخير الكون.

فما هي أهم مظاهر نعم الله التي تضمنتها هذه الآيات؟ وكيف نرسخ إيماننا بالله من خلال التأمل في آثار نعمته؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: 78–80]

الفهم

الشرح:

ٱلۡأَفۡـِٔدَةَ : القلوب التي هيأها الله للفهم وإصلاح البدن.

سَكَنٗا : مسكنا تسكنون فيه.

تَسۡتَخِفُّونَهَا : تجدونها خفيفة للحمل والنقل.

ظَعۡنِكُمۡ : الظَّعْنُ السفر والرحيل لطلب الكلأ.

وَأَوۡبَارِهَا : الوبر للإِبل كالصوف للغنم.

أَثَٰثٗا : متاع البيوت، كالفُرُش والثياب وغيرها.

استخلاص مضامين الآيات:

1- حدد (ي) النعم التي امتن الله تعالى على عباده في الآيات.

2- استخرج (ي) من الآيات مظهرا من مظاهر قدرة الله تعالى.

3- وضح (ي) من الآيات بعض آثار نعمة الله تعالى.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: إنعام الله تعالى على الإنسان بوسائل الإدراك والتعلم:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: والله جعلكم تعلمون مالم تكونوا تعلمون بعد أن أخرجكم من بطون أمهاتكم، فرزقكم عقولا تفقهون بها ، وتميزون الخير من الشر ، والهدى من الضلال ، والخطأ من الصواب ، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به، فيفهم بعضكم عن بعض ما تتحاورون به فيما بينكم، وجعل لكم الأبصار التي تبصرون بها. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: رجاء أن تشكروه باستعمال نعمه

فيما خلقت لأجله ، وتتمكنوا بها من عبادته تعالى، وتستعينوا بكل جارحة وعضو على طاعته. وفي هذه الآية تذكير الإنسان بنعم الله الظاهرة التي لا ينكرها عاقل، فالله عز وجل خلق الإنسان وهو لا يعلم شيئا، لكن أنعم عليه بنعمة الحواس لتكون وسيلة لإدراكه وتعلمه، وأرشده تعالى إلى وجوب شكره على جوده وإنعامه.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 24]

ثانيا: بيان قدرة الله تعالى في خلق الطير وتسخيره:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

أي: ألم ينظروا إلى الطير المسخر بين السماء والأرض، كيف جعله الله يطير بجناحيه في جو السماء، ما يمسكه عن الوقوع إلا الله عز وجل.

وقد جاءت هذه الجملة في سياق التّدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وعلى لطفه بالمخلوقات، فإنه تعالى لما ذكر هبة العقل والحواس التي بها تحصيل المنافع ودفع الأضرار؛ نبّه الناس إلى لطف الله بأضعف المخلوقات مثل الطير التي سخر الله لها السماء لترفرف فيها دون أن تحتاج إلى تعليم ذلك، مع أنها لا تتوفر على وسائل صيانة نفسها عن الخطر المحدق بها، فهيأ لها الله أسلوب الطيران للحركة في الجو والابتعاد عن الأخطار.

ولأجل هذا المعنى لم تعطف هذه الجملة على التي قبلها؛ لأنها ليس في مضمونها نعمةٌ على البشر، ولكنها آية على قدرة الله تعالى وعلمه، بخلاف نظيرتها في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: 20] فإنها عُطفت على آيات دالّة على قدرة الله.

والتّسخير: التّذليل للعمل. والجوّ: الفضاء الذي بين الأرض والسماء. والإمساك: الشدّ عن التفلّت. والرؤية: بصرية. والاستفهام إنكاري . معناه: جعل الله المشركين بمنزلة المنكرين لرؤية الطير في السماء لعدم إدراكهم لفائدة الرؤية، وهي الإيمان بالله.

وجمع لفظ (الآيات) هنا؛ لأن في الطير دلائل مختلفة من خِلقة الهواء، وخلقة أجساد الطير مناسبة للطيران في الهواء، وخلق الإلهام للطير بأن يسبح في الجو، وبأن لا يسقط إلى الأرض إلا بإرادته. وخصّت الآيات بالمؤمنين لأنهم بخلُق الإيمان قد ألفوا إعمال تفكيرهم في الاستدلال على حقائق الأشياء، بخلاف أهل الكفر فإن خلق الكفر مطبوع على النفور من الاقتداء بالنّاصحين وعلى مكابرة الحقّ.

ثالثا: امتنان الله على الإنسان بنعمة السكينة والاطمئنان:

بعدما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ جاءت الآيات بعدها لتعداد النّعم التي ألهم الله إليها الإنسان، وهي نعمة الفكر بصنع المنازل الواقية والمرفّهة، وما يشبهها من الثياب والأثاث. فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي: والله الذي جعل لكم من بيوتكم التي هي من الحجر والمدر مسكنا تقيمون فيه وأنتم في الحضر. وهذه النعمة أصل حفظ الإنسان من غوائل حوادث الجوّ؛ من شدّة برد أو حرّ، ومن غوائل السباع والهوامّ، وهي أيضاً أصل الحضارة والتمدّن لأن البلدان ومنازل القبائل تتقوّم من اجتماع البيوت.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: وجعل لكم قبابا وخياما من شعر الأنعام وأصوافها وأوبارها، تستخفون حملها يوم ترحالكم من دوركم وبلادكم وحين إقامتكم بها. ويحتمل أن يشمل المعنى بيوت الأدم وبيوت الشعر وبيوت الصوف، لأن هذه هي من الجلود، لكونها نابتة فيها.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز، أثاثا لبيوتكم، تكتسون به، وتستعملونه في الغطاء والفراش ومتاعا من مال وتجارة إلى أجل مسمى، وهو حين انقضاء آجالكم. وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾. يريد به وقتا غير معين، وهو بحسب كل إنسان، إما بموته وإما بفقد تلك الأشياء التي هي أثاث.

وتشير الآيات إلى تحقيق مقصدَي الجود والوجود، فمن خلال التأمل والتدبر في آثار نعمة الله على الإنسان، يرى أن الله تعالى أقام عليه الحجة بدليل فيض جوده وكرم إنعامه، ومن خلال التأمل في بديع صنع الله تعالى في خلق الطير وتسخيره يرى أن الله تعالى أقام عليه الحجة بدليل الوجود المقتضي للخلق والإبداع.

التقويم

1- ما هي وسائل الإدراك والتعلم التي أنعم الله بها على الإنسان؟

2- استنتج (ي) من الآيات دليلا على قدرة الله وعظمته في الخلق والإبداع؟

3- بين (ي) مظاهر إنعام الله على الإنسان بنعمة السكن والاطمئنان.

4- وضح (ي) من خلال الآيات قيمة العلم في حياة الإنسان.

الاستثمار

قال الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله: «مِنْ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ: الخَلْقُ وَالإِبْدَاعُ، فَاللهُ أَخْرَجَ النَّاسَ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَخَلَقَ لَهُمْ طُرُقَ العِلْمِ وَسُبُلَ الإِدْرَاكِ وَهِيَ السَّمْعُ وَالبَصَرُ وَالفُؤَادُ، لِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِ البِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا، وَجَعَلَ اللهُ العَقْلَ لِلإِنْسَانِ مِفْتَاحَ الفَهْمِ وَتَمْيِيزِ الخَيْرِ مِنْ الشَّرِّ، وَالنَّفْعَ مِنَ الضَّرَرِ، وَاللهُ أَمَدَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِهَذِهِ النِّعَمِ لِتَشْكُرُوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ، بِاسْتِعْمَالِ كُلِّ عُضْوٍ فِيمَا خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلِتَتَمَكَّنُوا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمْ، وَتُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ، وَلَيْسَ الشُّكْرُ مُجَرَّدَ تَرَدُّدِ التَّعْبِيرِ بِاللِّسَانِ، وَإِنَّمَا امْتِثَالٌ لِحُكْمِ اللهِ وَأَمْرِهِ». [التفسير الوسيط للزحيلي، ج:2 / 1286]

حدد (ي) من خلال النص أهمية وسائل الإدراك عند الإنسان.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (81–85) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) الكلمات الآتية: ظِلَٰلًا – أَكْنَٰنًا – سَرَٰبِيلَ – تُسْلِمُونَ – يُسْتَعْتَبُونَ.

2– استخرج (ي) من الآيات بعض ما أنعم الله تعالى به على عباده.

3– استنتج (ي) من الآيات وعيد الله تعالى للكافرين يوم القيامة.

الدرس
18

سورة النحل

﴿الآيات: 81 85﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات بعض نعم الله تعالى على الإنسان في الحياة.

3 – أن أستشعر عظمة الله تعالى من خلال شمول الخلق بنعمه.

تمهيد

لما بين الله تعالى في الآيات السابقة، ما أكرم الله به عباده من نعم تحصل بها السكينة والطمأنينة في الحياة، ويأمن بها على نفسه من الغوائل والشدائد، جاءت هذه الآيات في نفس السياق لبيان مزيد من نعمه تعالى على عباده. وقد أوردت الآيات جملة من النعم التي تحقق للإنسان السكينة والراحة والوقاية والأمان، كما بينت الآيات أن الله تعالى أقام هذه النعم حجة على الإنسان ليعرف المنعم بها، فيؤدي حق الشكر بإخلاص العبادة، واتباع الرسل.

وأشارت الآيات أيضا إلى حال من جحد هذه النعم وأنكرها، وأن عاقبته يوم القيامة عاقبة وخيمة، وعذاب الله له عذاب شديد.

فما هي مظاهر النعم التي امتن الله بها على عباده في هذه الآيات؟ وما هو وعيد الله تعالى للكافرين بهذه النعم؟ وكيف نحقق شكر الله تعالى على نعمه؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ (81) فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ

الْمُبِينُ ﴿82﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿83﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿84﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾

[النحل: 81-85]

الفهم

الشرح:

ظِلَالًا : جمع ظل وهو ما يستظل به من الغمام والشجر والجبال.

أَكْنَانًا : جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك.

سَرَابِيلَ : جمع سربال وهو القميص من القطن والكتّان والصوف.

تُسْلِمُونَ : توحدون الله.

يُسْتَعْتَبُونَ : لا يطلب منهم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضي الله.

يُنظَرُونَ : يمهلون ويؤخرون.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هي النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده في الآيات؟

2- ما هي الغاية من إتمام الله نعمته على عباده؟

3- بين (ي) موقف المشركين إزاء النعم التي أنعم الله بها عليهم.

4- استخرج (ي) من الآيات وعيد الله تعالى للكافرين يوم القيامة.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض مظاهر إتمام نعمة الله على عباده بالسكن والراحة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أي: ومن نعمه تعالى عليكم أن جعل لكم مما خلق

الأشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شديد الحر.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ أي: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها، كالمغارات والكهوف ونحوها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أي: وجعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف ونحوها، تقيكم الحر الشديد الذي في بلادكم.

﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ أي: وجعل لكم دروعا تقيكم بأس السلاح وأذاه حين الحرب.

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كما خلق هذه الأشياء لكم، وأنعم بها عليكم، يتم نعمة الدنيا والدين عليكم، ويجعلكم ملوكا وأمراء فيما تفتحون من البلاد والأصقاع. ويجعل رائدكم فيما تعلمون وجه الله وإصلاح الأمم والشعوب، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 53].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ لعل تفيد هنا التوقع، أي: توقعا للنظر فيما أسبغ عليكم من النعم، فتعرفون حقّ المنعم بها، فتؤمنون به وحده، وتذرون ما أنتم به مشركون، فتسلمون من عذابه. فإن العاقل إذا أسدي إليه المعروف شكر من أنعم به عليه.

وفي هذه الآية تعداد لنعم الله عليهم بحسب أحوالهم وبلادهم. وأنها الأشياء المباشرة لهم، لأن بلادهم من شدة الحرارة تحوجهم إلى ظل امتن الله به عليهم. ذلك أن بلاد العرب لما كانت شديدة الحر وحاجتهم إلى الظل ألزم، ذكر وقاية الحر في معرض النعم العظيمة، إلى أن ما يقي من الحر يقي من البرد أيضا، فكان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر.

والسرابيل التي تقي البأس هي الدروع. و البأس: مس الحديد في الحرب.

ثانيا: إنكار المشركين لنعمة الله عليهم ببلاغ الرسالة بعد معرفتهم.

لما عدد الله ما أنعم به عليهم من النعم، ذكر ما يترتب على ذلك إذا هم أصروا على عنادهم واستكبارهم، ولم تنفعهم الذكرى، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: فإن استمروا على إعراضهم، ولم يقبلوا ما ألقي إليهم من البينات، فلا يضيرك ذلك، ولا تُذهب نفسك عليهم أسىً وحسرة، فإنك قد أديت رسالتك كاملة غير منقوصة. وما هي إلا البلاغ الموضح لمقاصد الدين وبيان أسراره وحكمه. وقد فعلته بما لا مزيد عليه. فلست بقادر على هدايتهم وخلق الإيمان في قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أي: إنهم يعرفون أن هذه النعم كلها من الله، ثم هم ينكرونها بأفعالهم، إذ لم يخصّوا المنعم بها بالعبادة والشكر، بل شكروا غيره معه، إذ قالوا: إن هذه النعم إنما حصلت بشفاعة هذه الأصنام.

قال ابن عطية رحمه الله: والنعمة هاهنا هي محمد ﷺ كما قال السدي، ووصف الله تعالى المشركين بأنهم يعرفون معجزاته وآيات نبوته، وينكرون ذلك بالتكذيب، ورجح هذا القول الطبري. وقد سماهم الله منكرين للنعمة تجوُّزا، إذ كانت لهم أفعال المنكر من الكفر برب النعمة، وتشريكهم في النعمة الأوثان على وجه مَّا، وهو ما كانوا يعتقدون في الأوثان من الضر والنفع.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ أي: أكثرهم جاحد معاند يعلم صدق الرسول ولا يؤمن به عتوا واستكبارا، وقليل منهم كان يجهل صدقه ولم يظهر له كونه نبيا حقا من عند الله لأنه لم ينظر في الأدلة النظر الصحيح الذي يؤدي إلى الغاية، أو لم يعرف الحق لنقص في العقل فهو لا يسلك سبيله، أو لم يصل إلى حد التكليف فلا تقوم عليه حجة.

ثالثا: وعيد الله للكافرين يوم القيامة بتعجيل العذاب وعدم الإمهال:

لما ذكر الله حال هؤلاء المشركين وأنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها، أتبع ذلك بوعيدهم، فذكر حالهم يوم القيامة، وأنهم يكونون أذلاء لا يؤذن لهم في الكلام لتبرئة أنفسهم ولا يمهلون، بل يؤخذون إلى العذاب بلا تأخير. فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: يوم نبعث من كل أمة شاهدا عليها بما أجابت داعيَ الله، وهو رسولها الذي أرسل إليها، إما بالإيمان وطاعة الله، وإما بالكفر والعصيان.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: ثم لا يُسمع كلام الكافرين بعد شهادة أنبيائهم ولا يلتفت إليه، إذ في تلك الشهادة ما يكفي للفصل في أمرهم والقضاء عليهم. والله عليم بما كانوا يفعلون. ولكن في تلك الشهادة تأنيب لهم وتوبيخ على ما اجترحوا من الفسوق والعصيان، والكفر بربهم الذي أنعم عليهم، ونحو الآية قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: 35 - 36]. ولا يطلب منهم أن يزيلوا عتَاب ربهم وغضبَه بالتوبة وصالح العمل. فالآخرة دار جزاء لا دار عمل. والرجوع إلى الدنيا مما لا يكون بحال.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: وإذا عاين هؤلاء الذين كذبوا وجحدوا نبوّة الأنبياء، عذابَ الله، فلا ينجيهم منه شيء، إذ لا يؤذن لهم

بالاعتذار فيعتذرون، فيخفف عنهم بهذا العذر الذي يدعون، ولا يرجئون بالعقاب لأن وقت التوبة والإنابة قد فات، وإنما وقت الجزاء على الأعمال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٩﴾﴾ [الزلزلة: 8 -9]. ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:52]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: 13 -14].

وتفيد الآية أن الظالمين إذا أراهم الله عذاب النار وشارفوها وتحققوا كنه شدتها، فإن ما نزل بهم من الهول لا يخفف بوجه ولا يؤخر عنهم. ومقصد الآية بيان الفرق بين ما يحل بهم في الآخرة وبين ما يلحقهم من رزايا الدنيا. فإن الإنسان لا يتوقع أمرا من خطوب الدنيا إلا وله طمع في أن يتأخر عنه، وفي أن يجيئه في أخف ما يتوهم برجائه. وكذلك متى حلَّ به كان طامعا في أن يخف. وقد يقع ذلك في خطوب الدنيا كثيرا. فأخبر الله تعالى أن عذاب الآخرة إذا عاينه الكافر لا طمع فيه بتخفيف ولا بتأخير.

وتشير الآيات إلى تحقيق مقصدين أساسين هما: مقصد جودي، يتجلى فيما أفاضه الله تعالى على عباده من نعم مختلفة، يجمعها تحقيق السكينة والراحة والهداية والبيان؛ ومقصد وجودي، يتجلى في الخوف من الله تعالى والاستعداد للقائه يوم القيامة.

التقويم

1- بين (ي) ما امتن الله تعالى به على عباده من نعم.

2- استنتج (ي) من الآيات الغاية من إتمام الله تعالى النعمة على العباد.

3- ماذا تستفيد (ين) من قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾؟

4- ما هو وعيد الله تعالى للكافرين المكذبين بدعوة النبي ﷺ ؟

الاستثمار

قال الزحيلي رحمه الله تعالى :«قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ هَذِهِ آيَةُ وَعِيدٍ لِلْكُفَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، مَفَادُهَا: أُذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ، بِالكُفْرِ أَوِ الإِيمَانِ، وَالشَّهِيدُ: الشَّاهِدُ، وَهُوَ نَبِيُّهُمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا أَجَابُوهُ عَمَّا بَلَّغَهُمْ

عَنِ اللهِ تَعَالَى، إِمَّا بِالإِيمَانِ، وَإِمَّا بِالكُفْرِ وَالعِصْيَانِ، ثُمَّ إِذَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْ لَا يَسْمَحُ لَهُمْ بِالِاعْتِذَارِ وَالدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ، وَلِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَهُمْ فِي الِاعْتِذَارِ، وَلِأَنَّ أَحْكَامَ اللهِ عَادِلَةٌ عَدْلًا مُطْلَقًا، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ العِتَابَ، لِأَنَّهُ: لَا فَائِدَةَ فِي العِتَابِ، مَعَ سَخَطِ اللهِ وَغَضَبِهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَطْلُبُ العِتَابَ مِنْ خَصْمِهِ إِذَا كَانَ جَازِمًا أَنَّهُ إِذَا عَاتَبَهُ رَجَعَ إِلَى صَالِحِ العَمَلِ، وَالآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ، لَا دَارَ تَكْلِيفٍ وَعَمَلٍ، وَلَا أَمَلَ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا» [التفسير الوسيط للزحيلي، ج:2/ 1290].

حدد (ي) من خلال هذا النص كيف يبعث الله الأنبياء شهودا على أممهم؟

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (86–89) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) العبارات الآتية: ٱلسَّلَمَ – يَفْتَرُونَ – وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ – شَهِيدًا .

2– استخرج (ي) من الآيات أحوال المشركين يوم القيامة.

3– استخلص (ي) من الآيات الغاية من نزول القرآن الكريم.

الدرس 19

سورة النحل

﴿الآيات: 86 - 89﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2- أن أستنتج من الآيات مشاهدَ من أحوال المشركين يوم القيامة.

3- أن أستفيد من هداية القرآن وبيانه في كل مجالات الحياة.

تمهيد

بعدما لاحظنا من خلال الدرس السابق بيان الله تعالى لجملة من نعمه على عباده، وإنكار المشركين لهذه النعم وجحودها، ووعيد الله تعالى للمشركين على ذلك؛ واصلت هذه الآيات بيان بعض المشاهد من أحوال المشركين يوم القيامة، وكيف يستسلمون بعد ذهاب الغشاوة وظهور الحقيقة. كما بينت الآيات شهادة الأنبياء على أممهم بتبليغهم وبيان رسالة الله لهم، وشهادة النبي ﷺ كذلك على هذه الأمة. واختُتمت الآيات ببيان الغاية من نزول القرآن الكريم الذي أقام الله به الحجة على العباد.

فما هي المشاهد التي صورتها الآيات من أحوال المشركين يوم القيامة ؟ وكيف نستفيد من هداية القرآن الكريم في سلوكنا وحياتنا اليومية؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ (86) وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (87) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ (88) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89)﴾ [النحل: 86-89]

الفهم

الشرح:

ٱلسَّلَمَ :الاستسلام والخضوع والانقياد لحكمه فيهم.

وَضَلَّ :وزال.

يَفْتَرُونَ :يختلقون الكذب.

وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ :منعوا النَّاس من طاعة الله.

شَهِيدًا :رسولا شاهدا على أمته يوم القيامة بأنه قد بلغ الرسالة.

تِبْيَٰنًا : بيانا لأمور الدين.

استخلاص مضامين الآيات:

1– استخرج (ي) من الآيات أحوال المشركين يوم القيامة.

2– بماذا يشهد الأنبياء على أممهم يوم القيامة؟

3– ما هي الحِكم التي من أجلها أنزل الله القرآن الكريم؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: ذكر مشاهدَ من أحوال المشركين يوم القيامة:

تضمنت الآيات بيان مشهدين من أحوال المشركين يوم القيامة عندما يقفون بين يدي الله، ويطلعون على الحقيقة التي كانون ينكرونها في الدنيا. وهذان المشهدان هما:

إلقاء اللوم على آلهتهم: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾ أي: وإذا رأى هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة رأيَ عين ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان والآلهة، أشاروا إليها وقالوا: هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والذين كنا ندعوهم آلهة من دونك. وربما يكونون قد قالوا هذا الكلام طمعا في توزيع العذاب بينهم، أو إحالة

الذنب عليهم، وهم يعلمون أن العذاب واقع بهم لا محالة. ولكن هذا شأن الغريق فإنه يتعلق بكل ما تقع يده عليه من أسباب، حتى وإن كان يعلم أنها لا تنجي ولا تنفع.

وقد ذكر الله تعالى أن آلهتهم تتبرأ منهم، وهم أحوج ما يكونون إلى مناصرتها لهم. فقال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: قالت لهم الآلهة: كذبتم علينا. فنحن ما أمرناكم بعبادتنا. ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[الأحقاف: 4-5]،

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨٢﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: 82 -83].

والضمير في قوله: ﴿فَأَلْقَوْا﴾ عائد على الشركاء. فمن كان من الشركاء المعبودين من البشر أجاب بلسانه المعهود وكذب افتراء المشركين. وما كان من الجمادات، فإنها تتكلم بقدرة الله وتكذب دعوى المشركين في وصفهم بأنهم آلهة وشركاء لله.

إظهار الاستسلام والخضوع: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلم العابد والمعبود لله. فلا أحد يوم القيامة إلا وهو سامع مطيع. ونحو الآية قوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: 37]، أي: ما أسمعهم وأبصرهم حينئذ. وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة: 12]،

وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:108] أي: خضعت واستسلمت.

والضمير في: ﴿وَأَلْقَوْا﴾ عائد على المشركين. والمعنى: ألقوا إليه الاستسلام، وألقوا ما بأيديهم، وذلوا لحُكمه، ولم تكن لهم حيلة ولا قدرة على الدفاع عن أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب عنهم ما كانوا يعبدونه افتراء على الله من أصنام وأوثان. فلا ناصر لهم ولا معين ولا شفيع مما كانوا يزعمونه في الدنيا، كما قال تعالى حكاية لقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ هذه الآية في شأن من جمعوا بين الضلال في أنفسهم والإضلال لغيرهم. والمعنى: إن الذين جحدوا نبوّتك، وكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك، وصدوا عن الإيمان بالله ورسوله، زدناهم عذابا فوق عذابهم الذي يستحقونه بكفرهم، بسبب دعوتهم التي تبعد الناس عن سبيل الله.

فمثل هؤلاء يعذبهم الله عذابين: عذابا على الكفر، وعذابا على الإضلال وصد الناس عن اتباع الحق. ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 27] أي: ينهون الناس عن اتباعه، وهم يبتعدون منه أيضا وفي الآية دليل على تفاوت الكفّار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة.

ثانيا: شهادة الأنبياء على أممهم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هذه الآية خطاب للرسول ﷺ، أي: واذكر هولَ ذلك اليوم الذي يبعث الله فيه نبي كُلِّ أمة شاهداً على أمته، وتأتي أنت يا محمدُ شهيدا على أمتك بما أجابوك، وبما عملوا في رسالتك. وهذا الموقف يقطع الله فيه عذر من يعتذر، ويتم الله فيه الحجة على كل من كذَّب بدعوة الأنبياء والرسل. وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء. فلما وصل إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:41]، قال له رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فقال ابن مسعود: «فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ».

[صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ حسبك]

وتتضمن هذه الآية وعيدا للمشركين بإشهاد الله عليهم رسولا من أنفسهم يعرفون صدقه وأمانته. وقد شاهد في الدنيا تكذيبهم وكفرهم. قال ابن عطية رحمه الله: ويجوز أن يبعث الله شهيدا من الصالحين مع الرسل. وقد قال بعض الصحابة: إذا رأيت أحدا على معصية فانهَهُ فإن أطاعك وإلا كنت شهيدا عليه يوم القيامة.

والحكمة في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أن الرسول الذي يبعث من نفس الأمة في اللغة والسير وفهم الأغراض والإشارات؛ يكون قادرا على إفهامهم والرد على معانديهم. ولا يقدر على ذلك من كان من غير الأمة. فلذلك لم يبعث الله قط نبيا إلا من الأمة المبعوث إليهم.

ثالثا: بيان الحكمة من نزول القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89)﴾ أي: نزلنا عليك أيها الرسول هذا القرآن تبيانا لكل ما يحتاج الناس إلى معرفته من الحلال والحرام، والثواب والعقاب، والهداية والضلال. وكذلك جعلناه رحمة لمن صدق به، وعمل بما فيه من حدود الله وأمره ونهيه، وجعلناه بشرى لمن أطاع الله وأناب إليه بجزيل الثواب في الآخرة. ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها، هو بيان أن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب المنزل، سيسألك يوم القيامة عن ذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (5)﴾ [الأعراف: 5]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (93)﴾ [الحجر: 92 - 93].

وتبيان القرآن لأمور الدين إما مباشرة وإما ببيان الرسول ﷺ. وقد أمرنا سبحانه باتباع هذا البيان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ⑦﴾ [الحشر: 7]. وقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]، ولقوله ﷺ: «إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». [مسند الإمام أحمد، مسند المقدام بن معدي كرب] وإما ببيان الصحابة والعلماء المجتهدين. وقد قال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ». [سنن الترمذي، أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة]

وقد كان الأمر كما قال الرسول ﷺ، فاجتهد الأئمة، ومهّدوا طرق البحث في أمور الدين لمن بعدهم، واستنبطوا من الكتاب والسنة مذاهب وآراء في العبادات ومعاملات الناس بعضهم مع بعض، ودونوا تشريعا ينهل منه المسلمون في كل جيل، ويرجع إليه القضاة ليحكموا بين الناس بالعدل. وكان أجلّ تشريع أخرج للناس، كما اعترف بذلك أرباب الديانات الأخرى.

وتقرر هذه الآيات الكريمة وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الشريك الذي لا ينفع ولا يضر، وترشد الناس إلى خطورة الإشراك بالله تعالى من خلال عرض مشهد من مشاهد المشركين يوم القيامة حينما يتبرأ منهم من عبدوهم من دون الله، فيحيق بهم العذاب جزاء ما فعلوه في الدنيا.

التقويم

1- بين (ي) من خلال الآيات مشاهد من أحوال المشركين يوم القيامة.

2- ما معنى شهادة الأنبياء على أممهم ؟

3- ما هي الحكمة من نزول القرآن الكريم؟

الاستثمار

قال ابن باديس رحمه الله: «كَانَ ﷺ يُذَكِّرُ النَّاسَ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَهَدْيِهِ وَسَمْتِهِ، ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهُ عَلَى وَفْقِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ وَحِكَمِهِ. وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ». فَكَانَ تَذْكِيرُهُ كُلُّهُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ يَتْلُوهَا، وَيُبَيِّنُهَا بِالْبَيَانِ الْقَوْلِيِّ وَالْبَيَانِ الْعَمَلِيِّ، مُمْتَثِلاً فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَمْرَ رَبِّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]. فَالْقُرْآنُ وَبَيَانُهُ الْقَوْلِيُّ وَالْعَمَلِيُّ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بِهِمَا يَكُونُ تَذْكِيرُ الْعِبَادِ، وَدَعْوَتُهُمْ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَنْ حَادَ فِي التَّذْكِيرِ عَنْهُمَا ضَلَّ وَأَضَلَّ».

[تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، لابن باديس، ص:26 .بتصرف]

1- بين (ي) من خلال النص مكانة السنة النبوية من القرآن الكريم.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآية: (90) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1 – اشرح (ي) الكلمات الآتية: بِالْعَدْلِ – وَإِيتَآءِ – الْفَحْشَآءِ – وَالْمُنكَرِ – وَالْبَغْيِ

2 – استخرج (ي) من الآية مكارم الأخلاق التي أمر الله تعالى بها عباده.

3 – بين (ي) من الآية مساوئ الأخلاق التي نهى الله تعالى عنها .

الدرس 20

سورة النحل

﴿الآية : 90﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآية وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآية أصول الأخلاق الإسلامية.

3 – أن أتمثل في حياتي قيم الإسلام في السلوك والمعاملات.

تمهيد

يقوم بناء المجتمع الإسلامي على دعائم أساسية، تنظم الحياة الخاصة والعامة للفرد والجماعة. وهذه الدعائم منها ما هو مطلوب يجب التخلق به والحفاظ عليه، ومنها ما هو مرغوب عنه يجب نبذه والابتعاد عنه. وقد أمر الله تعالى بما يجب على عباده من فضائل الأخلاق والآداب، ونهى عما لا يليق بهم من مساوئ الأخلاق.

فما هي الأخلاق الإسلامية التي أمر الله تعالى بها ؟ وما هي الأخلاق التي نهى الله عنها؟ وكيف نرسخ هذه الأخلاق في سلوكنا ومعاملاتنا؟

الآيات

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[النحل: 90]

الفهم

الشرح:

بِالْعَدْلِ : بالإنصاف.

وَإِيتَآءِ : وإعطاء.

الْفَحْشَآءِ : كل قبيح من قول أو فعل. وقيل: الزنى.

وَالْمُنكَرِ : ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي والرذائل. وقيل: الشرك.

وَالْبَغْيِ : الكبر والظلم والحقد والتعدي. وحقيقته: مجاوزة الحد .

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هي الأخلاق التي أمر الله بها في هذه الآية؟

2 - ما هي الأخلاق التي نهى الله عنها في هذه الآية؟

3 - حدد (ي) الغاية التي ربط الله بها ما أمر به من أخلاق.

التفسير

أولا: ذكر ما ورد في مكانة هذه الآية وفضلها:

هذه الآية اشتملت على فضل كبير. فقد جمعت مكارمَ الأخلاق ومحاسِن الأعمال، وحذرت من مساوئ الأخلاق وتجاوز الحدود. فكانت بذلك آية عظيمة النفع لمن اتعظ بتوجيهاتها، وعملَ بمدلولاتها، واتخذها نبراسًا في حياته، ومنهجًا سلوكيا في قوله وفعله، وسار على ضوء مقاصدها في كل حركاته وسكناته.

فعن الحسن رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ثم قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ لَكُمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَالشَّرَّ كُلَّهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَوَاللهِ مَا تَرَكَ الْعَدْلُ، وَالْإِحْسَانُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ، وَلَا تَرَكَ الْفَحْشَاءُ، وَالْمُنْكَرُ وَالْبَغْيُ، مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ» [شعب الإيمان للبيهقي، الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أعظم آية في كتاب الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 253]

وأجمع آية في كتاب الله للخير والشر، الآية التي في النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ وأكثر آية في كتاب الله تفويضا، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3]. وأشد آية في كتاب الله رجاء، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 50] [الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ص:160/5]

ثانيا: أمر الله تعالى بالعدل والإحسان وصلة الأرحام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: إن الله يأمر عباده بهذه الخصال الثلاث وهي: العدل والإحسان وإعطاء ذوي القربى. وهذه الأوامر الثلاثة يتطلب كل واحد منها إفراده بشيء من البيان والتفصيل:

أمر الله بالعدل: العدل هو الإنصاف وإعطاء الحقّ إلى صاحبه. وقال ابن عطية رحمه الله: هو فعل كل مفروض من العقائد والشرائع في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق.

وعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «دعاني عمر بن عبد العزيز فقال: صف لي العدل، فقلت: بَخٍ سألتَ عَنِ امر جسيم، كنْ لصغير الناس أباً، ولكبيرهم إبناً، وللمثل منهم أخاً، وللنساء كذلك، وعاقبِ الناس عَلَى قدر ذنوبهم، وَعَلَى قدر أجسادهم، ولا تضربن بغضبك سوطاً واحداً متعدياً، فتكونَ مِنَ العادين». [تفسير ابن أبي حاتم: 5/ 161]

وعن علي بن أبي طالب أنه مرّ بقوم يحدثون، فقال: «فيم أنتم ؟ فقالوا: نتذاكر المروءة فقال: أو ما كفاكم الله عز وجل ذاك في كتابه إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ فالعدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل. فما بقي بعد هذا؟!" [الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: 5 / 160]

"والعدل هو الأصل الجامع للحقوق الضرورية والحاجية من حقوق تتعلق بالنفس وحقوق تتعلق بالمعاملات لأن المسلم مأمور بالعدل في نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 194]، ومأمور بالعدل في المعاملة مع خالقه سبحانه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه؛ والمعاملة مع المخلوقات بالمحافظة على أصول المعاشرة العائلية، والمخالطة الاجتماعية في الأقوال والأفعال، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام. 153]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء. 57] [التحرير والتنوير لابن عاشور 255/ 14 بتصرف].

أمر الله بالإحسان: وهو معاملة الخلق بالحسنى في القول والفعل، ومعاملة الخالق باستحضار مراقبته في كل ما أمر به ونهى عنه. قال ابن عطية رحمه الله: والْإحسان هو فعل كل مندوب إليه، وأعلاه ما

كان في جانب الله تعالى مما فسّره النبي بقوله: «الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». [صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإسلام والإيمان]

ومن الإحسان أن يتقرّب العبد إلى الله بالنوافل في العبادات، ويكثر من الطاعات، ويبالغ في حسن الأخلاق ودماثة السلوك وتطهير اللسان من قول السوء والجوارح من فعل المنكر. وقد روي عن النبي ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا - أي: بخفها - فَغُفِرَ لَهَا» [صحيح مسلم،كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها] وتتجلى من خلال الإحسان آداب المعاملة الفاضلة في الإسلام لكل فئات المجتمع، حيث يظهر العفو والتسامح والتعايش، فيجود الغني على الفقير، ويعفو القوي عن الضعيف، ويتجاوز المظلوم عن المسيء إليه. قال تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: 134].

أمر الله بإيتاء ذي القربى: الإيتاء هو الإعطاء، والمراد إعطاء المال. وذو القربى: هو صاحب القرابة من المعطي. والأمر بإيتاء ذي القربى داخل في الأمر بالعدل والإحسان؛ لكن خصّه الله بالذّكر لأنه يغفل عنه الناس ويتهاونون فيه. ومعلوم من عادات الناس أنهم يعتنون بالبعيد ويتقون شره بمجاملته بالعطاء، وهم في نفس الوقت يهملون رعاية القريب والعناية به، ويتساهلون في حقوقه ثقة به واطمئنانا إليه. وبسبب كثرة أكل مال الأيتام في الجاهلية جاءت كثير من الآيات منبهة على هذا الأمر، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: 2] وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: 26].

ثالثا: نهي الله تعالى عن الفحشاء والمنكر والبغي:

قال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ نهى الله تعالى هنا عن ثلاثة أخلاق ذميمة وهي: الفحشاء والمنكر والبغي. وهذه هي أصول المفاسد كلها. وسنبين كل واحد منها:

الفحشاء: والفحشاء اسم جامع لكل عمل أو قول تستقبحه النفوس لفساده، من اعتقاد باطل، أو عمل مفسد للخلْق، كالقتل والسرقة والقذف وغصب المال، والزنا والقمار وشرب الخمر وغير ذلك من كل ما يضرّ بالمجتمع، ويُدخل عليه الاضطراب.

المنكر: والمنكر كل ما تستنكره النفوس المعتدلة، وتكرهه الشريعة. وهو أعم من الفحشاء لأنه يعم جميع المعاصي والرذائل والإذايات على اختلاف أنواعها من فعل أو قول. قال تعالى:
﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة:2]، وقال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: 29].

والمنكر مراتب: منها مرتبة الحرام، ومنها مرتبة المكروه، فالجميع منهيّ عنه.

البغي: البغي هو ظلم الإنسان لأخيه، والاعتداء عليه في المعاملة بغير ذنب كسلب الإنسان حقه بالقوة، وإما بتجاوز الحدّ المعقول في العقوبه في حق المذنب. ولذا قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 193]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: 58]

والبغي داخل تحت الفحشاء والمُنكرِ؛ ولكن الله تعالى خصّه بالذّكر اهتماماً بالنّهي عنه وسدّاً لذريعة وقوعه، لأن النفوس تنساق إليه بدافع الغضب، وتغفل عما يشمله النهي من عموم الفحشاء بسبب فُشُوّه بين الناس. وقد كانت العرب أهل بأس وشجاعة وإباء، يكثر فيهم البغي على الغير. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنْ بَغْيٍ» [مسند الشهاب، مسند علي باب ليس شيء أسرع عقوبة من بغي] وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الوعظ: كلام يقصد منه الترغيب في الطاعة والتحذير من المعصية، والتشجيع على الصلاح. وهذا الخطاب للمسلمين؛ لأن الموعظة من شأن من هو محتاج للكمال النفساني، ولذلك قارنها بالرجاء.

والتذكر: مراجعة الشخص لما غفل عنه ونسيه، أي: تتذكرون ما اشتملت عليه هذه الموعظة من أمر الله ونهيه فإنها موعظة جامعة نافعة.

وقد أشارت هذه الآية إلى أصول الأخلاق الإسلامية، حيث أمرت بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهت عن الفحشاء والمنكر والبغي. وفي هذا كله تحقيق أهداف مهمة أولها: تحقيق العدل الذي هو أساس قيام المجتمعات. وتحقيق الإحسان الذي هو أساس التآلف بين الأفراد والجماعات.

التقويم

1- حلل (ي) بعض فضائل هذه الآية ومكانتها.

2- استنتج (ي) من الآية الأخلاق التي أمر الله بها مستدلا (ة) على ذلك بما تعرفه/ تعرفينه من نصوص شرعية.

3- لماذا نهى الله تعالى عن البغي والفحشاء والمنكر؟

الاستثمار

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: «أَنَّ ضَابِطَ الْوَعْظِ: هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي تَلِينُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَأَعْظَمُ مَا تَلِينُ لَهُ قُلُوبُ الْعُقَلَاءِ أَوَامِرُ رَبِّهِمْ وَنَوَاهِيهِ ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْأَمْرَ خَافُوا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ فِي عَدَمِ امْتِثَالِهِ، وَطَمِعُوا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي امْتِثَالِهِ. وَإِذَا سَمِعُوا النَّهْيَ خَافُوا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ فِي عَدَمِ اجْتِنَابِهِ، وَطَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي اجْتِنَابِهِ، فَحَدَاهُمْ حَادِي الْخَوْفِ وَالطَّمَعِ إِلَى الِامْتِثَالِ، فَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ لِلطَّاعَةِ خَوْفًا وَطَمَعًا» [أضواء البيان للشنقيطي :2/ 435].

1- استنتج (ي) من النص مايوجب الامتثال لأوامر الله ونواهيه.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (91-93) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: كَفِيلًا - نَقَضَتْ غَزْلَهَا - أَنكَاثًا - دَخَلًا - أُمَّةٌ - أَرْبَىٰ .

2- استخرج (ي) من الآيات المثل الذي ضربه الله تعالى لوجوب الوفاء بالعهد.

3- استخرج (ي) من الآيات حكم الوفاء بالعهد.

الدرس
21

سورة النحل
﴿الآيات: 91 93﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2- أن أستنتج من الآيات قيمة خلق الوفاء بالعهد وحفظ الأيمان.

3- أن أعتبر بسنن الله تعالى في الابتلاء والهداية والضلال.

تمهيد

لما أمر الله المؤمنين بأصل المصالح، ونهاهم عن ملاك المفاسد بما أشار إليه قوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90] . وقد صاروا بموعظة ذلك الكتاب المبيِّن لكل شيء إلى كمال وخير ورفعة، فكان ذلك مناسبة حسنة ليذكرهم الله تعالى بالوفاء بالعهد الذي عاهدوا الله عليه عندما أسلموا، وهو ما بايعوا عليه النبي ﷺ.

فما هي أهمية الوفاء بالعهد وحفظ الأيمان؟ وما هي سنة الابتلاء التي أجراها الله تعالى في الحياة؟ وكيف نستفيد من الآيات في بناء سلوك اجتماعي متين؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (93)﴾

[النحل: 91-93]

الفهم

الشرح:

بِعَهْدِ ٱللَّهِ : العهد لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان.

تَوْكِيدِهَا : تشديدها وتغليظها.

كَفِيلًا : شاهدا ورقيبا.

نَقَضَتْ غَزْلَهَا : حلته بعد إبرامه وإحكامه.

أَنكَٰثًا : النكث: النقض.

دَخَلًا : مكرا وخديعة.

أُمَّةٌ : ملة واحدة.

أَرْبَىٰ : أكثر.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – ما العهد الذي أمر الله تعالى بالوفاء به؟

2 – استخرج (ي) المثل الذي ضربه الله تعالى لوجوب الوفاء بالعهد.

3 – بين (ي) من الآيات سنة الابتلاء التي أجراها الله تعالى في الحياة.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: وجوب الوفاء بالعهود وعدم نقضها:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ هذه الآية أمر من الله تعالى للمسلمين بالحفاظ على عهدهم بحفظ الشريعة، وإضافة العهد إلى الله لأنهم عاهدوا النبي على الإسلام الذي دعاهم الله إليه، فهم قد عاهدوا الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] وقال تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:23] . والمقصود: تحذير الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام من أن ينقضوا عهد الله.

والخطاب في الآية عام، والمعنى: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقْدَه إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه وواثقتموه عليه، ويدخل في ذلك كل عهد يلتزمه الإنسان باختياره. والوعد من العهد، ومن ثم قال ميمون بن مهران: من عاهدته وفّ بعهده، مسلما كان أو كافرا، فإنما العهد لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: ولا تخالفوا ما عاقدتم فيه الأيمان، وشدّدتم فيه على أنفسكم، فتحنثوا فيه وتكذبوا وتنقضوه بعد إبرامه، وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه راعيا يرعى الموفي منكم بالعهد، والناقض له بالجزاء عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ الآية هي مضمون ما أشار إليه قوله في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ..﴾ أي: افعلوا كذا وانتهوا عن كذا، فعطف على ذلك التقدير.

والعهد لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان، من بيع أو صلة أو مواثقة في أمر موافق للديانة. وبالجملة فهو كل ما كان طاعة بين العاهد وبين ربه، سواء أكان فيه نفع للغير أم لم يكن.

وقوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ تخصيص للعهد المؤكد باليمين، تنبيها على خطورتها، لأن العاهد قد جعل الله شاهدا ورقيبا عليه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا في كل ما كان الثبوت فيه على اليمين طاعة لله، وما كان الانصراف عنه أصوب في الحق فهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَدَعْ يَمِينَهُ وَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْهَا» [سنن النسائي، كتاب الأيمان والنذور باب الكفارة قبل الحنث]

وقوله: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ زيادة في التحذير، وليس قيْداً للنّهي بالبعدية، إذ المقصود أيمان معلومة وهي أيمان العهد والبيعة، وليست فيها بعدية. و (بعد) هنا بمعنى (مع)، إذ البعدية والمعيّة أثرهما واحد هنا، وهو حصول توثيق الأيمان وتوكيدها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ في العهود التي تعاهدون الله الوفاء بها، والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها ؟ وهو محصٍ ذلك كله عليكم، وسائلكم عنه وعما عملتم فيه، فاحذروا أن تلقوه وقد خالفتم أمره ونهيه، فتستوجبوا منه ما لا قبل لكم به من أليم عقابه.

وهذا من الله تعالى وعد ووعيد، فالوعد لمن وفى والوعيد لمن نقض.

ثانيا: التحذير من إبطال الأعمال سفها وجهالة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ أي: ولا تكونوا أيها القوم في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها، وإعطائكم ربكم العهود والمواثيق كمن تنقض غزلها بعد إبرامه، وتنفشه بعد أن جعلته طاقات، حماقة منها وجهلا. وهذا تشبيه منه تعالى لحال الناقض للعهد بحال من تنقض غزلها بعد فتله وإبرامه، تحذيرا للمخاطبين، وتنبيها إلى أن هذا ليس من فعل العقلاء.

وقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتم، خديعة وغرورا ليطمئنوا إليكم، وأنتم مضمرون لهم الغدر، وترك الوفاء بالعهد، والانتقال إلى غيرهم لأنهم أكثر عددا وأعز نفرا، بل عليكم بالوفاء بالعهود والمحافظة عليها في كل حال. قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز نفرا، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز نفرا، فنهوا عن ذلك، وقيل: هو تحذير للمؤمنين أن يغتروا بكثرة قريش وسعة أموالهم، فينقضوا بيعة النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي: إنما يعاملكم الله معاملة المختبر، بأمره إياكم بالوفاء بعهده إذا عاهدتم، لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهده وبيعة رسوله، أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم، وقلة المؤمنين وضعفهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: وليبيننّ لكم ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه، لمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته ما كنتم تختلفون فيه من إقرار المؤمن بوحدانية ربه، ونبوة نبيه، والوحي إلى أنبيائه، والكافر بكذبه بذلك كله .

والآية كلها تؤكد الوصاية بحفظ عهد الأيمان، وعدم الارتداد إلى الكفر، وسدّ مداخل فتنة المشركين إلى نفوس المسلمين، إذ يصدّونهم عن سبيل الإسلام بأنواع الصدّ، كقولهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سورة سبأ: 35] .

ثالثا: سنة الله في الابتلاء والاختبار:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ولو شاء الله لجعل الناس على دين واحد، بمقتضى الغريزة والفطرة، ولم يجعل لهم اختيارا فيما يفعلون، فكانوا في حياتهم الاجتماعية أشبه بالنمل والنحل، وفي حياتهم الروحية أشبه بالملائكة،

مفطورين على طاعة الله واعتقاد الحق، وعدم الميل إلى الزّيغ والجور، لكنه تعالى خلقهم كاسبين؛ لا ملهمين، وعاملين بالاختيار لا مفطورين، وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم، فللإنسان اختيار أوتيه بحسب استعداده الأزلي وهو مجبر فيه، والثواب والعقاب يترتبان على هذا الاختيار الذي هو مناط التكليف، وتكون عاقبته الجنة أو النار.

ولما كان قوله: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ قد يغترّ به ذوو النظر القصير، فيحسبون أن الضالين والمهتدين سواء عند الله وأن الضالين معذورون في ضلالهم، لكونه من أثر مشيئة الله؛ عقّب على ذلك بقوله: ﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: ولتسألن يوم القيامة جميعا سؤال محاسبة ومجازاة، لا سؤال استفهام واستفسار، فهو وعيد بسؤال كل أحد يوم القيامة عن عمله.

وتشير الآيات إلى تحقيق العبادة الخالصة لله من خلال استحضار عظمته ومراقبته سبحانه، واعتبار أن العهد الذي يبرمه المؤمن مع أخيه الإنسان هو عهد مع الله تعالى؛ لأنه هو الشاهد الرقيب على كل ما يفعله العباد في سرهم وعلانيتهم، كما تبين الآيات ما يجب في حق الله تعالى من إيمان ويقين بأنه سبحانه هو المدبر لخلقه، يفعل ما يشاء، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه.

التقويم

1 – استنتج (ي) من الآيات ما يدل على خطورة نقض العهود.

2 – بين (ي) أركان التشبيه ووجه الشبه في المثل الذي ضربه الله لنقض العهد.

3 – بين (ي) من الآيات ما يدل على الوعد لمن وفى بالعهد والوعيد لمن نقضه.

4 – ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾؟

الاستثمار

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنْ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». [صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب إذا خاصم فجر]

1 – وضح (ي) من النص خطورة عدم الوفاء بالعهد.

2- بين (ي) دلالة عدم الوفاء بالعهد في الحديث.

3- اذكر (ي) نصوصا شرعية تحث على الوفاء بالعهد في الإسلام.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (94–97) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: دَخَلًا - فَتَزِلَّ - بِعَهْدِ ٱللَّهِ - حَيَوٰةً طَيِّبَةً

2- استخرج (ي) من الآيات حكم اليمين الكاذبة.

3- بين (ي) من الآيات جزاء العمل الصالح في الدنيا والآخرة.

الدرس 22

سورة النحل

﴿الآيات: 94 97﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2- أن أدرك خطورة اليمين الكاذبة وعقوبة صاحبها.

3- أن أتمثل قيمة العمل الصالح وآثاره في الدنيا والآخرة.

تمهيد

لما كان تأكيد العهود بالأيمان إشهادا لله تعالى واتخاذَه كفيلا ورقيبا، كان النهي عن نكث اليمين نهيا شديدا، وعقوبة ناكثها عقوبة وخيمة، وقد جاءت هذه الآيات لتأكيد النّهي عن عقد الأيمان والعهود المنطوية على الخديعة والفساد، وتوعّد الله تعالى المخادعين في الأيمان والعهود بعذاب في الدّنيا، وعذاب عظيم في الآخرة. وهذا الوعيد الشديد فيمن نقض عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإن من عاهده ثمّ نقض عهده خرج عن الإيمان.

فكيف تناولت الآيات التحذير من اتخاذ الأيمان ذريعة للخديعة والمكر؟ وما هو جزاء العمل الصالح في الدنيا والآخرة؟ وكيف نستفيد من الآيات في تقوية علاقاتنا وسلوكنا الاجتماعي ؟

الآيات

قال تعالى: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم (94) ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون (95) ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (96) من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (97)﴾

[النحل: 94-97]

الفهم

الشرح:

دَخَلًا : الدخل: الذرائع إلى الخداع والغدر.

وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ : ذوْقُ السوء في الدنيا هو ما يحل بهم من المكروه.

فَتَزِلَّ قَدَمٌ : تسقط وتثقل.

يَنفَدُ : يفنى ويزول.

حَيَوٰةً طَيِّبَةً : حياة هنيئة لا كدر فيها.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ : ولنثيبنهم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هو الشيء الذي نَهَى الله تعالى عنه في الآيات؟

2- لماذا كان الحلف على الكذب مدعاة للهلاك؟

3- ما هو جزاء العمل الصالح في الدنيا والآخرة؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: تحذير الله من اتخاذ اليمين غطاء للخديعة والمكر:

بعد أن حذر سبحانه في الآيات السابقة من نقض العهود والأيمان على الإطلاق، حذر هنا من نقض أيمان مخصوصة، وهي نقض عهد رسول الله على الإيمان به، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: ولا تجعلوا أيمانكم خديعة تغرون بها الناس، والمراد بذلك: نهي المخاطبين عن نقض أيمانهم التي بايعوا فيها رسول الله ﷺ على الإسلام، ثم نقضوا أيمانهم اعتزازا بكثرة المشركين، وازدراء لقلة أتباع رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي:

إنكم بعملكم هذا تكونون قد وقعتم في محظورات ثلاثة وهي:
أ - ضلالكم عن طريق الحق والهدى بعد رسوخ قدمكم فيها.
ب- كونكم قدوة لغيركم في الصد عن سبيل الله.

ج- تعريض أنفسكم لأشد العقاب في الآخرة بما فعلتم من مجانبة الحق والإعراض عن أهله.

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بيان وتفصيل لما أجمل في معنى الدَخَل. وكرر الله تعالى النهي في هذه الآية بعد النهي الوارد في الآيات السابقة للمبالغة في التحذير من هذا السلوك المشين، وخطورة أثره على الأمن الاجتماعي، واستقرار المعاملة بين الناس في مجالات الحياة المختلفة.

والزّلل: تزلّق الرّجل وتنقّلها من موضعها دون إرادة صاحبها، بسبب ملاسة الأرض من طين رطب، أو تخلخل حصى أو حجر من تحت القدم فيسقط الماشي على الأرض. وقد استعمل هنا على سبيل الاستعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه، لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر. ومن هذا قولهم: زلَّةُ لسان، وزلَّةُ قلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: ولا تأخذوا في مقابلة نقض العهد عوضا يسيرا من الدنيا، وقد كان هذا حال قوم ممن أسلموا بمكة، زين لهم الشيطان أن ينقضوا ما بايعوا رسول الله ﷺ عليه، جزعا مما رأوا من غلبة قريش، واستضعافهم للمؤمنين، وإيذائهم لهم، ولِما كانوا يعدونهم به من البذل والعطاء إن هم رجعوا إلى دينهم، فنبههم الله بهذه الآية، ونهاهم عن أن يستبدلوا بالخير العميم والنعيم المقيم في الآخرة ما وعدوهم به من عرض الدنيا وزينتها. وبهذا الاعتبار عطفت هذه الجملة على جملة: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وعلى جملة: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ لأن كل جملة منها تلتفت إلى غرض خاص مما قد يبعث على النّقض.

وفي هذه الآية نهيٌ عن الرشوة وأخذ الأموال على فعل ما يجب على الآخذ تركه، أو ترك ما يجب عليه فعله، فإن هذه هي التي تشتمل على عهد الله مع عباده، فمن أخذ على ذلك مالا فقد نقض عهد الله وأخذ قليلا من الدنيا.

وقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ صفة كاشفة وليست مقيّدة، أي أن كل عوض يؤخذ عن نقض عهد الله هو عوض قليل ولو كان كثيرا.

ثانيا: ثواب الله على الوفاء بالعهد:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن ما خبأه الله لكم، وادّخره

من جزيل الأجر والثواب، هو خير لكم من ذلك العرض القليل في الدنيا، إن كنتم من ذوي العقول الراجحة، والأفكار الثاقبة التي تزن الأمور بميزان الفائدة، وتقدّر الفرق بين العوضين.

ثم أخبر تعالى أن ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى، ثم بين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتزول، ومنن الآخرة باقية دائمة، فقال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ أي: إن ما تتمتعون به من نعيم الدنيا ينفد وينقضي، وإن طال الأمد وجلّ العدد، وما في خزائن الله باق لا نفاد له. فاعملوا لِما عنده ، واحرصوا على الباقي الذي لا يفنى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ولنثيبن الذين صبروا على أذية المشركين وعلى مشاقّ الإسلام التي تتضمن الوفاء بالعهود والمواثيق، الثواب العظيم الذي هم أهل له ، جزاء صبرهم؛ إذ كل التكاليف محتاجة إليه، وهو أساس الأعمال الصالحة. وفي الآية وعد جميل بمغفرة ما عسى أن يكون قد صدر منهم.

وقوله: ﴿صَبَرُوا﴾ أي: كفوا أنفسهم عن الشهوات وعلى مكاره الطاعات، وهذه إشارة إلى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المذكورة، وقوله: ﴿بِأَحْسَنِ﴾ أي بأجر أكثر مما يستحقون.

ثالثا: وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة:

لما كان الوعد المتقدم خاصاً بأولئك الذين نهوا عن أن يشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً، تم التعقيب عليه بتعميمه لكل من ساواهم في الثبات على الإسلام والعمل الصالح مع التبيين للأجر، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فكانت هذه الجملة بمنزلة التذييل للتي قبلها، والبيان لما تضمّنته من مجمل الأجر. وكلا الاعتبارين يوجب فصلها عمّا قبلها.

والمعنى: من عمل صالح الأعمال، وأدى فرائض الله التي أوجبها عليه، وهو مصدق بثوابه الذي وعد به أهل طاعته، وبعقاب أهل المعصية على عصيانهم؛ فلنحيينه حياة طيبة، تصحبها القناعة بما قسم الله له، والرضا بما قدّره وقضاه، إذ هو يعلم أن رزقه إنما حصل بتدبيره، والله محسن كريم لا يفعل إلا ما فيه المصلحة، ويعلم أن خيرات الدنيا سريعة الزوال، فلا يقيم لها في نفسه وزنا، فلا يعظم فرحه بوجدانها، ولا غمُّه بفقدانها، ثم هو بعد ذلك يجزى في الآخرة أحسن الجزاء، ويثاب أجمل الثواب، جزاء ما قدّم من عمل صالح، وتحلى به من إيمان صادق.

ومن هذا المعنى ما جاء في الصحيح عن خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا نُكَفِّنُهُ فِيهِ إِلَّا نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ فَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ بِهَا وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ إِذْخِرٍ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا». [صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن] والعمل الصالح يعم جميع أعمال الطاعة، ثم قيده بالإيمان، واختلف الناس في الحياة الطيبة، فقال ابن عباس والضحاك: هو الرزق الحلال. وقال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي القناعة، وهذا طيب عيش الدنيا. وقال الحسن البصري: الحياة الطيبة، هي حياة الآخرة ونعيم الجنة.

قال القاضي أبو محمد: إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم ونبلها، وقوة رجائهم، وحسن أملهم بالعاقبة والصحّة والعافية وعزّة الإسلام في نفوسهم. فبهذا تطيب حياتهم، لأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإن أضيف إلى هذا مال حلال وصحة، أو قناعة؛ فذلك كمال. وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عبادهُ المؤمنين على قدر مراتب هممهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى الدليل على ذلك.

وتشير هذه الآيات إلى تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى من خلال امتثال أمره بالوفاء بالعهود، وبحفظ الأيمان من النقض، وتحقيق الإيمان بالغيب من خلال اليقين بما أعده الله تعالى لأهل الصلاح من جزيل الأجر والثواب في الآخرة.

التقويم

1- ما جزاء من اتخذ الأيمان ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل؟

2- بين (ي) معنى قوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾.

3- ذكر الله في الآيات جزاءين للمؤمنين، أحدهما خاص والآخر عام. وضح (ي) كلا منهما.

4- استنتج (ي) من الآيات ما يدل على الترغيب في الأعمال الصالحة.

الاستثمار

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»، فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: فِيَّ وَاللَّهِ، لَقَدْ كَانَ

ذَلِكَ: كان بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ أَرْضٌ، فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟»، قُلْتُ: لَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: «احْلِفْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِذًا يَحْلِفَ فَيَذْهَبُ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا...الآية﴾

[آل عمران: 76] [سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في اليمين الفاجرة يقتطع بها مال المسلم].

1- وضح من خلال النص مكانة اليمين في الإسلام.

2- بين تحذير الإسلام من اليمين الكاذبة و عقوبتها.

3- ما هو أثر اليمين الكاذبة على العهد بين العبد و خالقه؟

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (98-103) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1- اشرح (ي) الكلمات الآتية: سُلۡطَٰنٌ - رُوحُ ٱلۡقُدُسِ - مُفۡتَرِۭ - يُلۡحِدُونَ

2- استخرج (ي) من الآيات الأدب الذي أمر الله به عند قراءة القرآن.

3- بين (ي) من خلال الآيات الحكمة من نزول القرآن الكريم.

الدرس 23

سورة النحل

﴿الآيات: 98 103﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها .

2 – أن أستنتج من الآيات ما يدل على عظمة القرآن وآداب تلاوته.

3 – أن أستشعر عظمة القرآن الكريم وأثره في استقامتي ونجاحي في الحياة.

تمهيد

لما ذكَّر الله تعالى في الآيات السابقة بكون القرآن الكريم، هو كتاب الهداية والبيان والبشارة والرحمة، وأنه ما من خير في الدنيا والآخرة إلا دلَّ عليه، وما من شر إلا وحذر منه، وقد علم الله أن الشيطان لن يألوَ جهدا في صد العباد عن هداية القرآن والانتفاع به؛ جاءت هذه الآيات لتبين واسع رحمة الله تعالى بعباده، وترد على كل مكابر معاند غره الشيطان، وصده عن الحق المبين، فكذب وادعى أن القرآن افتراء وكلام بشر، ببيان عظمة المنزِل سبحانه، وأمانة من نزل به، وكرامة من نزل عليه، وسمو الحكمة من نزوله.

فما معنى الاستعاذة التي أمر الله تعالى بها عند قراءة القرآن الكريم؟ وما هي الحكمة من نزول القرآن الكريم؟ وكيف نستفيد من هداية القرآن الكريم في إصلاح النفوس والأحوال؟

الآيات

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (100) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (102) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103)﴾ [النحل: 98–103]

الفهم

الشرح:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ : إذا أردت القراءة.

﴿سُلْطَانٌ﴾ : إغواء وكفر وتسلط.

﴿يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ : يتخذونه وليا وناصرا.

﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ : جبريل عليه السلام.

﴿يُلْحِدُونَ﴾ : الإلحاد: الميل، يقال لحد وألحد أي: مال عن القصد.

﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ : العجمة: الإخفاء وعدم البيان.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بماذا أمر الله تعالى عند قراءة القرآن؟

2- أبرز (ي) الحكمة من نزول القرآن الكريم؟

3- كيف رد الله تعالى على من زعم أن القرآن الكريم كلام بشر؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم:

لما كان القرآن كلام الله تعالى المقدس أحاطه الله بجملة من الآداب منها الاستعاذة عند إرادة قراءته مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: إذا شرعت في قراءة القرآن فاسأل الله سبحانه أن يعيذك من وساوس الشيطان الرجيم، لئلا يفسد عليك قراءتك، ويمنعك من التدبر والتفكر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] وإذا كان الأمر موجها للنبي ﷺ مع عصمته من الشيطان، فما بالك بسائر أمته؟

والفاء في قوله: ﴿فَإِذَا﴾ واصلة بين الكلامين، والعرب تستعملها في مثل هذا، وتقدير الآية فإذا

أخذت في قراءة القرآن كما قال عز وجل: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 7]
وكما تقول لرجل: إذ أكلت فقل: بسم الله.

والاستعاذة مندوبة عند الجميع، وحكي عن عطاء أن التعوذ واجب، وصيغة الاستعاذة هي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والاستعاذة مشروعة للبدء في القراءة أو عندما يريد أن يقرأ، وليست مشروعة عند كلّ تلفّظ بألفاظ القرآن كالنّطق بآية أو آيات من القرآن في التعليم أو الموعظة أو شبههما، وليس صوابا أن يقول المتكلم في مقام الاستدلال: (كقوله تعالى بعدَ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ويسوق آية.

وقد بين الله تعالى أن الناس أمام تسلط الشيطان ووسوسته فريقان:

- فريق لا سلطان للشيطان عليهم وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: إنه لا تسلط للشيطان على الذين يصدقون بلقاء الله ويفوضون أمورهم إليه، وبه يعوذون وإليه يلتجئون، فلا يقبلون ما يوسوس به الشيطان، ولا يطيعونه فيما يريد منهم. ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42].

والإخبار بأن لا سلطان للشيطان على المؤمنين بعد الأمر بالاستعاذة، يقتضي أن الاستعاذة تصرف كيده، لأنها متضمنة للتوكل على الله.

- فريق للشيطان عليهم سلطان، وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: إنما تسلطه بالغواية والضلالة على الذين يجعلونه نصيرا لهم، فيحبونه ويطيعونه، ويستجيبون لدعوته، والذين هم بسبب إغوائه يشركون بربهم.

ثانيا: الحكمة من نزول القرآن الكريم وتبديل بعض آياته:

كان كفار مكة إذا نسخ الله آية بآية -سواء بنسخ اللفظ والمعنى، أو نسخ المعنى مع بقاء اللفظ- يقولون: لو كان هذا من عند الله لم يتبدل، وإنما هو من افتراء محمد، فهو يرجع من خطإ يبدله إلى صواب يراه بعد ذلك، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وإذا نسخنا آية فأبدلنا مكانها آية أخرى، والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل من آياته؛ قال المشركون المكذبون لرسوله: إنما أنت متقوّل على الله، تأمر بشيء ثم تنهى عنه، وأكثرهم لا يعلمون ما في التبديل من حكم بالغة، وقليل منهم يعلمون ذلك، وينكرون الفائدة منه عنادا واستكبارا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ توبيخ لهم وإشارة إلى أن التبديل لم يكن للهوى، بل كان لحكمة اقتضته ودعت إليه من تغير الأحوال والأزمان. ألا ترى أن الطبيب يأمر المريض بدواء بعينه، ثم إذا عاده مرة أخرى نهاه عن ذلك الدواء وأمره بغيره، بحسب ما يرى من حال المريض؟ وهكذا الشرائع إنما توضع مناسبة للزمان والمكان والأحوال الملابسة لها، وقد يطرأ ما يغيرها ويستدعي وضع تشريع آخر يكون أصلح للأحوال الطارئة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: قل لهم: قد جاء جبريل من عند ربي بما أتلوه عليكم، وما اقتضته الحكمة البالغة، من تثبيت المؤمنين، وتقوية إيمانهم بما فيه من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة، على وحدانية خالق الكون، وباهر قدرته وواسع علمه، وحثٍّ على النظر في ملكوت السماوات والأرض، وتشريعٍ يرقى بالأمم في أخلاقها وآدابها ومعارفها إلى مستوىً لا تدانيها فيه أمة أخرى.

ثالثا: إبطال دعوى المشركين بأن القرآن كلام بشر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ أي: وإنَّا نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا: إن ما يتلوه محمد تعلمه من البشر، وليس وحيا من عند الله. فرد الله تعالى عليهم بقوله:
﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: إن لغة الشخص الذي تزعمون أنه يعلِّم محمدا لغة أعجمية، والقرآن نزل بلغة عربية فصيحة، فكيف تصدر هذه الفصاحة والبلاغة في القرآن من رجل أعجمي؟!

قال ابن عباس: كان في مكة غلام أعجمي لبعض قريش، فكان رسول الله ﷺ يكلمه ويعلمه الإسلام ويشجعه عليه فقالت قريش: هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم، فنزلت الآية بسبب ذلك.

والآية تفحم من يطعن في كون القرآن الكريم وحيا، وكأن الله تعالى يقول للمشركين: أنتم أفصح الناس بيانا، وأقواهم حجة وبرهانا، وأقدرهم على الكلام نظما ونثرا؛ وقد عجزتم وعجز جميع العرب عن أن يأتوا بمثله، فكيف تنسبونه إلى أعجميّ أَلْكَن؟ !

وقوله تعالى: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ نسبة إلى الشخص الأعجمي لا إلى العجم لأنه لو كان كذلك لقال عجمي. والأعجمي: هو الذي لا يتكلم بالعربية، وأما العجمي فقد يتكلم بالعربية ونسبته إلى العجمة تظل قائمة.

وقوله: ﴿وَهَٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن، وفي الكلام حذف تقديره: وهذا سرد لسان، أو نطق لسان، فهو على حذف مضاف، وهذا على أن يكون المقصود باللسان هنا الجارحة. و اللسان في كلام العرب

اللغة. ويحتمل أن يراد في هذه الآية، واللسان الخبر.

وتشير هذه الآيات إلى بيان الحكمة من نزول القرآن الكريم، وآداب تلاوته كما تشير إلى بعض خصائص ومميزات القرآن الكريم الذي هو مصدر هداية وتشريع ودليل بإعجازه على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ.

التقويم

1- بين (ي) معنى الاستعاذة وحكمها عند قراءة القرآن الكريم.

2- عرف (ي) النسخ في القرآن الكريم واذكر (ي) الحكمة منه؟

3- استنتج (ي) من الآيات الحكمة من نزول القرآن الكريم.

4- ما هو موقف المشركين من القرآن الكريم ؟ وكيف رد الله تعالى عليهم؟

5- أبرز (ي) الفرق بين الأعجمي والعجمي وبين (ي) المراد به في الآيات؟

الاستثمار

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَام، سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكِ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، فَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا».

[الموطأ للإمام مالك، كتاب النداء للصلاة، باب ماجاء في القرآن]

1- بين (ي) من خلال الحديث طرق تلقي الرسول ﷺ للوحي.

2- بين (ي) المقصود بالوحي في الآيات الثلاث:

أ- قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: 68]

ب- وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:6]

ج- وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:10]

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات:(104–109) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) الكلمات الآتية: يَفۡتَرِي - مُكۡرِهَ - طَبَعَ - لَا جَرَمَ

2– استخرج (ي) من الآيات حكم من أكره على النطق بكلمة الكفر، فنطق بها.

3– وضح (ي) من خلال الآيات حال المرتدين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة.

الدرس
24

سورة النحل

﴿الآيات: 104 109﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أدرك خطورة افتراء الكذب على الله تعالى.

3 – أن أعتبر بوعيد الله تعالى لمن فضل الدنيا على الآخرة.

تمهيد

اقتضت سنة الله تعالى في الهداية والضلال، أن لا يكتب هداية التوفيق والثبات إلا لمن أخذ بأسباب هداية الدلالة والبيان، وأما من أغلق قلبه عن هداية البيان، وأغمض عينيه عن نور القرآن، ولم يستجب لداعي الرحمن؛ فإن الله عز وجل يزيده بعدا وضلالا، ويتوعده يوم القيامة وبالا. وتتناول آيات هذا الدرس نماذج من هؤلاء الكافرين المعرضين، وذكْر بعض أوصافهم القبيحة وأفعالهم الشنيعة، التي استحقوا بها غضب الله وعذابه العظيم يوم القيامة.

فما هي صفات هؤلاء المكذبين بآيات الله وأعمالهم، وما هو جزاؤهم؟ وما حكم من أجبر على النطق بكلمة الكفر بلسانه دون أن يتسرب الشك إلى إيمانه؟

الآيات

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109)﴾

[النحل: 104-109]

الفهم

الشرح:

يَفْتَرِي : يختلق الكذب.

أُكْرِهَ : أجبر.

شَرَحَ : اعتقد وطاب نفسا.

اِسْتَحَبُّواْ : اختاروا.

طَبَعَ : ختم

لَا جَرَمَ : لا شك ولا ريب.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – استخرج (ي) من الآيات عاقبة الذين يكذبون بآيات الله.

2– بين حكم من أكره على النطق بكلمة الكفر؟

3– وضح من خلال الآيات حال المرتدين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة.

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: مصير المكذبين بآيات الله:

بعد أن رد الله تعالى على افتراء المشركين وزعمهم ودحض دعواهم في الآيات السابقة، توعدهم عز وجل في هذه الآيات على كل ذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إن الذي لا يصدقون بأن هذه الآيات من عند الله، بل يقولون فيها ما يقولون، تارة بأنها مفتريات، وتارة أخرى بأنها من أساطير الأولين؛ لا يهديهم الله إلى معرفة الحق الذي ينجيهم من عذاب النار، لما يعلم من سوء استعدادهم لما عملوا من السيئات، ولهم في الآخرة إذا انقلبوا إلى ربهم؛ عذاب مؤلم موجع، جزاء ما اتصفوا به من العداء لرسوله العظيم، والتكذيب لآيات القرآن الكريم.

والمفهوم من الوجود أن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر، إشارة إلى تقبيح فعلهم وتشنيع خطابهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5] والمراد ما ذكرناه. فكأنه قال: إن الذين لم يؤمنوا، لم يهدهم الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هذا ردّ لقولهم في النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ أي: إنما الذين يكذبون على الله ورسوله ﷺ هم الذين لا يصدقون بحجج الله وآياته الدالة على وحدانيته؛ وهم لا يرجون على الصدق ثوابا، ولا يخشون من جراء الكذب عقابا، ثم حكم الله عليهم بالكذب حكما صريحا فقال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، ويقصد بذلك كفار قريش الذين اتهموا رسول الله ﷺ بالافتراء.

وكلمة (إِنَّما) تأتي حاصرة دائما، لكن حصرها يختلف باختلاف المعاني التي تقع فيها، فقد يكون حصرها حقيقيا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ [النساء: 170]، وقد يكون تجوزا ومبالغة، كما هو الحال في هذه الآية.

وكرر المعنى في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، لفائدة إيقاع الصفة بالكذب عليهم، إذ الصفة بالشيء أبلغ من الإخبار به، لأن الصفة تقتضي الدوام أكثر مما يقتضيه الخبر، فبدأ في هذه الآية بالخبر، ثم أكد بالصفة.

ثانيا: حكم من أكره على النطق بكلمة الكفر:

بعد أن ذكر سبحانه في الآيات السالفة أن قريشا كفروا برسول الله ﷺ، وتقوّلوا عليه الأقاويل، فوصفوه بأنه مفترٍ ،وأن الكتاب الذي جاء به هو من كلام البشر لا من عند الله، ثم هددهم بسبب ذلك أعظم تهديد؛ أتبع ذلك ببيان حال من يكفر بلسانه وقلبه مليء بالإيمان فقال تعالى:
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: إن من كفر بالله بعد الإيمان والتبصر، فعليه غضب من الله، إلا إذا أكره على ذلك وقلبه مليء بالإيمان بالله والتصديق برسوله، فلا تثريب عليه كما فعل عمار بن ياسر. وذلك أن كفار مكة كانوا في صدر الإسلام يؤذون من أسلم من الضعفاء، يعذبونهم ليرتدوا عن إسلامهم، فربما نطق بعضهم بكلمة الشرك خوفا من الأذى.

وروي أن المشركين أخذوا عمار بن ياسر، فعذّبوه حتى داراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ قال: مُطْمَئِنًا بالإيمان. قال النبيّ ﷺ:«فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ».
[تفسير الطبري 17/ 304]

قال القاضي أبو محمد بن عطية: ويتعلق بهذه الآية شيء من مسائل الإكراه. أما من عذبه كافر قادر عليه ليكفر بلسانه، وكان العذاب يؤدي إلى قتله، فله الإجابة باللسان.

ثالثا: عاقبة الارتداد عن دين الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ولكن غضب الله وشديد عقابه يكون لمن طابت أنفسهم بالكفر طوعا واختيارا، فقوله: ﴿شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ معناه مال إلى الكفر باختياره.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: ذلك الغضب من الله، والعذاب العظيم من أجل أنهم آثروا الحياة الدنيا وزينتها على نعيم الآخرة، وأن الله لا يوفق من يجحد آياته ويصر على إنكارها لأنه قد فقد الاستعداد لسلوك سبل الخير بما زينت له نفسه، من الإثم، فأصبح قلبه مليئا بما يشغله عن الإيمان، بسبب ما يمليه عليه الشيطان.

وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ إشارة إلى مشيئة الله تعالى الكفر في قلوبهم، ولا شك أن كفر الكافر الذي يتعلق به العقاب إنما هو بمشيئة من الله تعالى وباكتساب من الكافر، فجمعت الآية بين الأمرين.

رابعا: حال المرتدين في الدنيا وعاقبتهم في الآخرة:

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أي: أولئك الذين اتصفوا بما تقدم ذكره، هم الذين طبع الله على قلوبهم، فلا يؤمنون ولا يهتدون، وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر متعظ، وأولئك هم الساهون عما أعد لأمثالهم من أهل الكفر. فكأنه سد بذلك طرق هذه الحواس حتى لا ينتفع بها هؤلاء في الاعتبار والتأمل.

وقوله تعالى: ﴿طَبَعَ اللَّهُ﴾ مأخوذ من الطبع وهو الختم، والطابع الخاتم، وذهبت طائفة من المتأولين إلى أن المعنى هنا على الحقيقة، وقال آخرون: إنه على المجاز، وأن ما بعثه له في قلوبهم من الكفر والضلال والإعراض عن الإيمان، سماه طبعا.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: حقا إنهم في الآخرة هم الهالكون الذين غبنوا أنفسهم، وصرفوا أعمارهم فيما يفضي بهم إلى العذاب.

وقد حكم الله على هؤلاء الكافرين بثلاثة أشياء:

1 –إنهم استوجبوا غضب الله وعقابه العظيم.

2 – إنهم استحبوا الحياة الدنيا فحرمهم الله من الهداية.

3 – أنه طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وجعلهم من الغافلين.

وتشير الآيات إلى تحقيق مقصد العبادة لله تعالى في الحياة من خلال تذكيرها بمصير المكذبين في الآخرة، وما توعدهم الله تعالى به من عقاب أليم، كما نبهت الآيات إلى أن قضية الإيمان والتوحيد قضية لا تقبل الغفلة والتساهل، لأن من يسر الله له أسباب الهداية فأعرض عن هدي الله يوشك أن يطبع الله تعالى على قلبه فلا يهتدي أبدا، ويكون في الآخرة من الخاسرين.

التقويم

1 – بين (ي) علاقة الآيات موضوع الدرس بما قبلها من الآيات.

2 – ما هو مصير المكذبين بآيات الله؟ وبمَ توعدهم الله؟

3 – ما هو حكم من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؟

4 – بماذا وصف الله تعالى المكذبين المرتدين في الدنيا؟

الاستثمار

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ قَالَ: أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَعَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَأَمَّا مَنْ أُكْرِهَ فَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ وَخَالَفَهُ قَلْبُهُ بِالإِيمَانِ لِيَنْجُوَ بِذَلِكَ مِنْ عَدُوِّهِ فَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَأْخُذُ الْعِبَادَ بِمَا عَقَدَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ.

[السنن الكبرى للبيهقي، كتاب المرتد، باب المكره على الردة]

– حدد (ي) من خلال هذا النص جزاء المرتد عن دينه في الآخرة.

– بين (ي) حدود ما يمكن أن يبيحه الإكراه من أعمال تتنافى مع الإيمان.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (110–114) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) الكلمات الآتية: **رَغَدًا – مُّطْمَئِنَّةً – تُجَادِلُ** .

2– استخرج (ي) المثل الذي ضربه الله تعالى بالقرية التي كانت آمنة.

3– استخرج (ي) من الآيات جزاء شكر النعم وعاقبة الكفر بها.

الدرس
25

سورة النحل

﴿الآيات: 110 114﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات جزاء الشكر للنعم وعاقبة الكفر بها.

3 – أن أعتبر بسنن الله في شأن المكذبين لدعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

تمهيد

بعد أن ذكر الله تعالى أن من يُفتن في دينه، فيتكلم بكلمة الكفر مُكْرَها أو مضطهَدا، وقلبه مطمئن بالإيمان، غير مختار للكفر ولا راضٍ به؛ جاءت هذه الآيات لتبين أسباب المغفرة والرضى من الله تعالى لمن أذنب وفرط في جنبه سبحانه، فذكرت الآيات جملة من أعمال الصلاح تجاوز الله بسببها عمن فتن في دينه، كما بينت الآيات عدل الله يوم القيامة وأنه لا يظلم أحدا عمل عملا، ونبهت الآيات على سنة من سنن الله في الكون، تتجلى في أن النعمة تحفظ بالشكر، وأن النقمة تُجلب بالكفر.

فما هي الأعمال الصالحة الموجبة للمغفرة لمن فُتن في دينه؟ وما هو جزاء شكر النعم وعاقبة الكفر بها؟ وكيف نعتبر بالمثل الذي ضربه الله لمن كفر بأنعم الله؟

الآيات

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114)﴾

[النحل: 110 – 114]

الفهم

الشرح:

فُتِنُواْ : امتحنوا وابتلوا.

تُجَٰدِلُ : تحاجُّ وتدافع.

وَتُوَفَّىٰ : وتُعطى.

رَغَدٗا : واسعاً هنيئاً بلا كلفةٍ ولا تعب.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – ما هو الجزاء الذي أعده الله تعالى لمن ثبت على دينه؟

2 – بين (ي) المثل الذي ضربه الله تعالى لأهل القرية الآمنة المطمئنة.

3 – استخرج (ي) من الآيات جزاء شكر النعم وعاقبة الكفر بها.

التفسير

اشتملت الآيات على مايأتي:

أولا: قبول اللّه توبة من فتن في دينه ثم تاب وعمل صالحا:

بعد أن ذكر سبحانه في الآيات السابقة حال من كفر بالله من بعد إيمانه، وحكم بأنه استحق غضب الله وعذابَه الأليم يوم القيامة، ثم ذكر حال من أكره على إجراء كلمة الكفر على لسانه وقلبه مليء بالإيمان؛ أتبع ذلك بذكر طائفة من المسلمين كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم. فوافقوا المشركين على الفتنة في الدين والرجوع إلى دين آبائهم وأجدادهم، ثم فرّوا وتركوا بلادهم وأهليهم ابتغاء رضوان الله وطلب غفرانه، وانتظموا في سلك المسلمين، وجاهدوا معهم في سبيل الله، فحكم ربهم بقبول توبتهم، ودخولهم في زمرة الصالحين، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن الذين هاجروا من ديارهم، وانتقلوا إلى ديار الإسلام من بعد ما فتنهم المشركون، ثم جاهدوا وصبروا على جهادهم، بأنه من بعد أفعالهم هذه سيغفر لهم .

وشمِل قوله: ﴿هَاجَرُواْ﴾ من هاجر إلى الحبشة من مكة فرارا بدينه من الفتنة، ومن هاجر إلى المدينة كذلك. وشمل قوله: ﴿جَٰهَدُواْ﴾ جهاد الكلمة في بث الحق ونشر كلمة الإيمان والدفاع عنه.

وقرأ الجمهور: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ بضم الفاء وكسر التاء، وقرأ ابن عامر وحده ﴿فُتِنُواْ﴾ بفتح الفاء والتاء، فإن كان الضمير للمعذَّبينَ فيجيء بمعنى: فَتنوا أنفسهم بما نطقوا به من كلمة الكفر، كما فعل عمار؛ وإن كان الضمير للمعذِّبين فهو بمعنى: من بعد ما فتن المعذبون المسلمين؛ وإن كان الضمير للمشركين فهو بمعنى: من بعد ما فتن الشيطان المشركين.

ثانيا: بيان عدل الله تعالى في الحساب والجزاء:

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ أي: يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها، وتحاجّ عنها، وتسعى في خلاصها، بما أسلفت في الدنيا من عمل، ولا يهمها شأن غيرها من ولد ووالد وقريب. والنفس الأولى: الجثة والبدن، والنفس الثانية: عينها وذاتها.

قال القاضي أبو محمد بن عطية: وظاهر الآية أن كل نفس تُجادِلُ كانت مؤمنة أو كافرة، فإذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم للكفر؛ شهدت عليهم الجوارح والرسل وغير ذلك بحسب الطوائف، فحينئذ لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون.

وقوله تعالى: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: وتعطى كل نفس جزاء ما عملت في الدنيا من طاعة أو معصية، فيجزى المحسن بما قدم من إحسان، والمسيء بما أسلف من إساءة.

وتفيد الآية: أن كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس:37].

ثالثا: سنة الله الماضية في عقاب من كفر بنِعَم الله:

بعد أن هدَّد سبحانه الكافرين بالعذاب الشديد في الآخرة، أتبع ذلك الوعيد بآفات الدنيا من جوع وفقر وخوف شديد بعد أمن واطمئنان وعيش رغَدٍ، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾

ضرب الله في هذه الآية مثلا لقرية كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبي، يأتيها الرزق الكثير من سائر البلدان، فكفروا بنعم الله، فعمهم الجوع والخوف، وذاقوا مرارة العيش بعد السعة والطمأنينة، وقد جاءهم رسول من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه، فكذبوه فيما أخبرهم به من وجوب الشكر على النعمة، فأخذهم العذاب لاتصافهم بالظلم، وهو الكفر وتكذيب الرسول.

قال ابن عباس ومجاهد: والقرية المضروب بها المثل مكة. كانت بهذه الصفة التي ذكر الله لأنها كانت لا تغزى ولا يغير عليها أحد، وكانت الأرزاق تُجلب إليها، وأنعَم الله عليها برسوله، فكفروا بأنعم الله وبالوحي.

وإن كانت مكة هي المقصودة في المثل فإنما ضربت للدلالة على غيرها من القرى والأمصار لتحذيرها من أن تقع في المحذور.

وفي هذا المثل المضروب إشارة إلى تمادي أهل مكة في الكفر والعناد، وإلى أن ترتيب العذاب على تكذيب الرسول ﷺ جاء على سنة الله في أنه لا يعذب أمة إلا إذا أنذرها، وبعث إليها رسولا يعظها ويرشدها كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وقد كان أهل مكة في حرم آمن يُتَخطّف الناس من حولهم، ولا يمرّ بهم طيف من الخوف، ولا يزعج قلوبهم مزعج. وكانت تُجبى إليهم ثمرات كل شيء، وقد جاءهم رسول من أنفسهم فأنذرهم وحذرهم، فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وأذاقهم لباس الجوع والخوف بدعاء رسوله ﷺ إذ قال: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِينَ يُوسُفَ». [صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القنوت..] فاضطروا إلى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة، وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله ﷺ، ثم تعرضوا يوم بدر للهزيمة النكراء. وقد جعل الله الجوع والخوف يستبدان بهم كأنهما لباس لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي ولقد جاءهم محمد بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة، وهو رسولٌ منهم يعرفون أصله ونسبه فلم يصدقوه ولم يؤمنوا برسالته، فأصابتهم الشدائد والنكبات وهم ظالمون بارتكاب المعاصي والآثام.

رابعا: أمر الله تعالى بأكلِ الحلال من الرزق وشكرِ النعمة:

بعد أن بين سبحانه حال من كفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله، وأنه قد حلّ بهم العذاب من جوع وخوف، بسبب ظلمهم لأنفسهم وصدهم عن سبيل الله؛ أتبع ذلك بأمر المؤمنين بأكلهم من الحلال الطيب، وشكرهم لنعمة الله عليهم، وطاعتهم للرسول فيما أمر به ونهى عنه، كيلا يحل بهم مثل ما حلّ بمن قبلهم، فقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: فكلوا مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم، وذروا الخبائث، من الميتة والدم وغيرهما،

واشكروا الله على ما أنعم به عليكم، بتحليله ما أحل لكم، وعلى سائر نعمه الظاهرة عليكم إن كنتم تعبدونه، فتطيعونه فيما يأمركم به، وتنتهون عما ينهاكم عنه.

وسبب نزول هذه الآية أن الكفار كانوا سنّوا في الأنعام سننا، وحرموا بعضا وأحلوا بعضا، فأمر الله تعالى المؤمنين بأكل جميع الأنعام التي رزقها الله عباده.

وقوله تعالى: ﴿طَيِّباً﴾ أي: مستلذا. وقع التنصيص في هذا على المستلذات، لما فيها من ظهور النعمة، وإن كان الحلال قد يكون غير مستلذ، ويحتمل أن يكون الطيب بمعنى الحلال وكرره مبالغة وتوكيدا.

وقد أشارت الآيات إلى بيان جود الله تعالى على عباده، من خلال عفوه ورحمته وتجاوزه عمن فتن في دينه، ثم تاب بعد ذلك وعمل صالحا. كما يظهر جود الله تعالى على عباده من خلال إباحته لهم الأكل من جميع الطيبات. كما يتجلى من خلال الآيات تحقيق مقصد العبادة الخالصة لله تعالى والقيام بواجب الشكر لله تعالى على ما أنعم به من نعم، وما تجاوز عنه من تقصير. فهو سبحانه غفور رحيم.

التقويم

1– بين (ي) من الآيات سعة رحمة الله في قبول التوبة وغفران الذنوب.

2– ما هي سنة الله الماضية في مؤاخذة الكافرين بأنعمه؟

3– بماذا ربط الله تعالى أمره بأكل الحلال الطيب؟

4– استنتج (ي) من الآيات ما يدل على وجوب شكر النعم وعدم كفرها.

الاستثمار

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺفَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «ما يَكونُ عِنْدِي من خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، ومَن يَسْتغنِ يُغْنِهِ الله، ومنْ يسْتعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومن يَتَصَبَّرْ يُصبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أَحدٌ شَيئًا هوَ خيرٌ وَأَوْسعُ من الصّبرِ»

[سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصبر]

– بين (ي) من خلال الحديث قيمة الصبر ومكانته في الإسلام.

– استدل (ي) على أهمية الصبر في جميع المواقف بنصوص شرعية.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (115–119) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) الكلمات الآتية: وَالدَّمَ - أُهِلَّ - بَاغٍ - وَلَا عَادٍ .

2– استخرج (ي) من الآيات أنواع المحرمات المذكورة.

3– بين (ي) خطورة التحليل والتحريم بالهَوَى.

الدرس
26

سورة النحل
﴿الآيات: 115 119﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج من الآيات بعض المحرمات وما يباح منها عند الاضطرار.

3 – أن أستشعر خطورة التقوُّل على الله تعالى بغير علم.

تمهيد

أحل الله تعالى لنا الطيبات النافعة، وحرم علينا الخبائث الضارة. وجعل دائرة الحلال أوسع بكثير من دائرة الحرام. فما حرم الله تعالى شيئا على عباده إلا عندما يكون فيه ضرر على صحة الإنسان وعقله ودينه، ولا أحد أعلم من الله تعالى بهذا الإنسان، وبما يصلحه ويفسده؛ ولذلك كان أمر التحليل والتحريم خاصا بالله تعالى، لا يجوز لأحد أن يحلل أو يحرم شيئا برأيه وهواه، كما كان عرب الجاهلية يفعلون.

فما هي أنواع الأطعمة المحرمة التي تضمنتها هذه الآيات؟ وكيف نعتبر بعاقبة من تجرأ على التحليل والتحريم تقوُّلاً على الله بغير علم؟

الآيات

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (115) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (119)﴾

[النحل: 115-119]

الفهم

الشرح:

ٱلۡمَيۡتَةَ : ما مات من حيوان البر دون ذكاة.

وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ : ما قدم قربانا لغير الله.

بَاغٍ : آكل للمحرم بلا اضطرار.

عَادٍ : متجاوز لحد الضرورة.

ٱلَّذِينَ هَادُواْ : اليهود.

بِجَهَٰلَةٍ : بطيش، وعدم تدبر في العواقب.

استخلاص مضامين الآيات:

1- استخرج (ي) من الآيات أنواع الأطعمة المحرمة.

2- وضح (ي) ما حذر الله تعالى منه في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان الله تعالى المحرمات من الأطعمة:

لما أمر الله تعالى في الآيات السابقة بالأكل من الرزق الحلال الطيب، أتبع ذلك ببيان المحرمات من الأطعمة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ أي: إنما حرم عليكم ربكم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح تقربا لغير الله من الأصنام والأوثان.

وقد حَصَرت هذه الآية بلفظ (إِنَّما) الأطعمة المحكوم بتحريمها وقت نزول الآية، ثم نزلت بعد ذلك آيات أخرى لبيان ما حرم بعد ذلك. وهذا الحصر للأنواع الأربعة من الأطعمة تكرر في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام:146].

وماذكره الله تعالى في سورة المائدة في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة:4] يعتبر من قبيل التفصيل لما أجمل في هذه الآية وفي آية الأنعام لأن باقي المذكورات هي من أنواع الميتة.

والمَيْتَة المحرمة: ما مات من حيوان البر دون ذكاة.

والدم المسفوح: هو الدم السائل. وأما ما خالط اللحم وسكن فيه فهو حلال جائز.

وَلَحْم الخِنْزِيرِ: المراد به تحريم اللحم والشحم وجميع أعضاء الخنزير. وإنما خص الله تعالى اللحم بالذكر لأنه هو المقصود للآكل في الغالب.

وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: أي ما قصد بذبحه التقرب لغير الله. وكانت العرب إذا ساقت ذبيحة إلى صنم جهرت باسم ذلك الصنم وصاحت به. فجرى التعبير على ذلك بلفظ الاستهلال الذي هو رفع الصوت.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات لمجاعة حلَّت به، أوضرورة دعته إلى أخذ شيء منها، غير باغ على غيره من الناس، ولا متعَدٍّ في الأكل قدر الضرورة وسد الرمق؛ فالله لا يؤاخذه على ذلك. وهو الذي يستر ما يصدر من العباد من هفوات، وهو أرحم بهم من معاقبتهم على مثل ذلك.

وقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾، قال الجمهور: هو الذي اضطره جوع واحتياج. وقال الجمهور: في قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ معناه: غير مستعمل لهذه المحرمات مع وجود غيرها. ﴿وَلَا عَادٍ﴾ معناه: لا يتعدى حدود الله في هذا.

قال ابن عطية رحمه الله: واختلف الناس في صورة الأكل من الميتة، فقالت فرقة: الجائز من ذلك ما يمسك الرمق فقط. وقالت فرقة: بل يجوز الشبع التام. وقالت فرقة منهم مالك رحمه الله: يجوز الشبع والتزود.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لفظ يقتضي الإباحة للمضطر. والإباحة هنا مشروطة بالاضطرار، وعلى أساس ذلك يكون غفران الله للمضطر.

ثانيا: بيان عاقبة التحليل والتحريم بالهَوَى:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ أي: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بالرأي والهوى. كما كانوا يقولون فيما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ... وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام:140].

وهذه الآية مخاطبة للكفار الذين حرموا البحيرة والسائبة، وأحلوا ما في بطون الأنعام، وإن كانت ميتة. والآية تقتضي كل ما كان لهم من تحليل وتحريم. فإنه كله افتراء منهم، ومن ذلك ما جعلوه محرما بحسب الشهور.

وقوله تعالى: ﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: لتكذبوا على الله بإسناد ما حللتموه وما حرمتموه إلى الله كذبا من غير أن يكون ذلك من الله حقا. فالله لم يحرم ما حرمتم، ولا أحل كثيرا مما حللتم؛ لأن أمر الحل والحرمة موكول إلى الله تعالى.

وعن ابن مسعود قال: «عَسَى رَجُلٌ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ بِكَذَا، أَوْ نَهَى عَنْ كَذَا، فَيَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُ: كَذَبْتَ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ كَذَا وَأَحَلَّ كَذَا، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ» [مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب من يستحل الحرام أو يحرم الحلال أو يترك السنة] ولهذا كان أمر الحلال والحرام موقوفا على إرادة الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: إن الذين يختلقون الكذب على الله في أمورهم صغيرها وكبيرها لا يفوزون بخير ولا يحصلون على مبتغاهم الذي كذبوا من أجله. إذ هم متى عُرفوا بالكذب نبذهم الناس وانصرفوا عنهم وعاشوا أذلة ممقوتين. وجعلهم الله مضرب الأمثال في الهوان والصغار، لما سيصيبهم من الخزي والوبال يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إن المنافع التي قد تحصل لهم من كذبهم في الدنيا لا يعتد بها إذا تمت مقارنتها بالمضار التي تلحقهم في الآخرة. فمتاع الدنيا يفنى سريعا ويبقى لهم العذاب الأليم في الآخرة. ونحو الآية قوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 23].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: حرمنا على اليهود ما أخبرناك به من قبل في سورة الأنعام حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: 147].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بين الله في هذه الآية أن تحريمه على اليهود تلك الأشياء المذكورة في سورة الأنعام ليس فيه أي ظلم لهم لأنهم كانوا سببا في ذلك التحريم بما بدلوا وحرفوا من شرائع الله تعالى. فكان ذلك التحريم عقوبة لهم على ظلمهم وبغيهم. وبهذا المعنى يتضح الفرق بين اليهود وبين غيرهم في التحريم. فإنه كان عقوبة لهم، وكان مصلحة لغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تبين هذه الآية أن الله تعالى واسع الرحمة وعظيم المغفرة لمن صلحت حاله وصدقت توبته، وأنه تعالى قد تجاوز عن هؤلاء ما وقعوا فيه قبل التوبة من ارتكاب المعاصي بسبب الجهالة التي حملتهم على انتهاك حرمات الدين كالقتل للغيرة أو للعصبية. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال في دعائه: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَذِلَّ، أَوْ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»

[السنن الكبرى للنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الضلال]

وفي هذه الآية تأنيس لجميع الناس، حيث أخبر الله تعالى فيها أنه يغفر للتائبين مهما بلغت ذنوبهم، ومهما كانت معاصيهم. فرحمته تعالى أوسع من معصية كل عاص، ومن ذنب كل مذنب.

وتشير هذه الآيات إلى بيان مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو رفع الحرج عن الناس، وتيسير ما يشق عليهم. ولهذا فإن الله تعالى قد ربط أمره ونهيه بطاقة العباد وقدرتهم. وفي هذه الآيات أيضا مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده حيث رفع عنهم التكليف في حالة الضرورة. ويتمثل ذلك في إباحة الله للإنسان أن يأكل من الميتة المحرمة إذا كان مضطرا ولم يجد غيرها.

التقويم

1- هل تنحصر المحرمات من الأطعمة في الأربعة المذكورة؟

2- استنتج (ي) من الآيات القاعدة الفقهية في إباحة المحرم.

3- بين (ي) خطورة إطلاق اللسان بالفتوى في الدين بغير علم.

4- استخرج (ي) من الآيات العبارات الدالة على سعة رحمة الله ومغفرته.

الاستثمار

جاء في الموطأ: "سُئِلَ مَالِكٌ: عَنِ الرَّجُلِ يَضْطَرُّ إِلَى أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَهُوَ مُحْرِمٌ، أَيَصِيدُ الصَّيْدَ فَيَأْكُلُهُ؟ أَمْ يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ؟ فقال: «بَلْ يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُرَخِّصْ لِلْمُحْرِمِ فِي أَكْلِ الصَّيْدِ وَلَا فِي أَخْذِهِ فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ وَقَدْ أَرْخَصَ فِي الْمَيْتَةِ عَلَى حَالِ الضَّرُورَةِ»"

[الموطأ، كتا الحج، باب ما لا يحل أكله من الصيد]

1- بين (ي) كيف استدل الإمام مالك رحمه الله على جواز أكل الْمُحْرِمِ المضطر من الميتة.

2- حدد (ي) القاعدة الفقهية المعتمدة في هذه الفتوى.

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (120 –124) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1 – اشرح (ي) الكلمات الآتية: **أُمَّةً** – **قَانِتاً** – **حَنِيفاً** – **اجْتَبَاهُ**.

2 – بين معنى الحنيفية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾.

3 – استخرج (ي) من الآيات الأوصاف التي مدح الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

الدرس
27

سورة النحل

﴿الآيات: 120 124﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2 – أن أستنتج بعض صفات خليل الله إبراهيم عليه السلام.

3 – أن أستشعر خطورة التحريف والتبديل لشرع الله تعالى.

تمهيد

لما كانت الآيات السابقة قد اختتمت ببيان عظيم فضل الله تعالى على عباده، إذ فتح باب التوبة والإنابة لكل من عصى وفرط في جنب الله، وغفر للتائب ما سلف من ذنوب، رحمةً بعباده؛ جاءت هذه الآيات تنويها بأب الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ذاكرة لمحامده وفضائله، وسيرته وعقيدته كما جاءت ترغيبا للعباد في الاقتداء به وسلوك طريقته في التوحيد ورفض الشرك، وتبرئته مما كان يفتريه عليه أهل الكتاب.

فما هي أهم الصفات التي وصف الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام؟ وبماذا أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ في هذه الآيات؟ وكيف حكم الله تعالى فيما اختلف فيه أهل الكتاب ؟

الآيات

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (121) وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (123) إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124)﴾

[النحل:120 – 124]

الفهم

الشرح:

أُمَّةً : جماعة كثيرة.

قَانِتاً : مطيعا لله قائما بأمره.

حَنِيفاً : مائلا عن دين الباطل إلى دين الحق.

اِجْتَبَاهُ : اختاره واصطفاه.

جُعِلَ السَّبْتُ : فرض تعظيم يوم السبت على اليهود، والتفرغ فيه للعبادة وترك الصيد.

استخلاص مضامين الآيات:

1- استخرج (ي) من الآيات الأوصاف التي مدح الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

2- بماذا أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ في هذه الآيات؟

3- ما هو الجزاء الذي أعطاه الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: ذكر بعض صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام:

بعد أن بين الله سبحانه فساد عقيدة المشركين من إثبات الشركاء والأنداد لله، وطعن في نبوة الأنبياء والرسل، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، أتبع ذلك بذكر إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين الذي كان المشركون يفتخرون به، ويقرّون بوجوب الاقتداء به، ليصير ذكر طريقته عنوانا على التوحيد والرجوع عن الشرك فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾ أي: إماما يقتدى به، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [البقرة:123] وسمي إبراهيم أمة لمعنيين:

أحدهما: أنه عليه السلام كان في الفضل والكمال بمنزلة أمّة كاملة، ومن هذا المعنى ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مُعَاذٌ أُمَّةٌ قَانِتٌ لله». [شرح المشكاة للطيبي : 2/ 708]

والثاني: أن إبراهيم كان أمّة وحده في الدين لأنه لم يكن في وقت بعثته عليه السلام موحّدٌ لله غيره. فهو الذي أحيا الله به التوحيد، وبثّه في الأمم والأقطار، وبنَى إبراهيم لله بيتا وهو الكعبة، ودعا الناس إلى الحجّ إليه لنشر كلمة الله بين الناس، ولم يزل الأمر على هذا الشأن إلى اليوم.

وقوله تعالى: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي: خاشعا مطيعا لله، قائما بأمره، دائم العبادة له. وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلا عن كل دين باطل إلى الدين الحق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إشارة إلى براءة إبراهيم عليه السلام، من مشركي عصره من العرب واليهود وغيرهم؛ إذ كلهم يدَّعون الانتساب إليه. ولفظ (يك) أصله (يكن) حذفت نونه للتخفيف.

وقوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي: قائما بشكر نعم الله عليه على الوجه الذي ينبغي. كقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم:37] أي: قام بجميع ما أمره الله تعالى به.

وقوله تعالى: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: اصطفاه واختاره للنبوة، ووفقه إلى العقيدة الصحيحة المتمثلة في عبادة الله وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: أعطيناه كل خير، وجعلنا له ذكرا حسنا بين الناس، واستجبنا له دعاءه عندما دعا ربه قائلا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: 83] أي: جعله الله في مقام الاستقامة والصلاح، وجعله من الذين لهم الدرجات العليا في الجنة.

ويتجلى الذكر الحسن الذي خص الله به إبراهيم عليه السلام، في أنه ما من أمة موحدة إلا وهي معترفة أن إيمانها من إيمان إبراهيم وأنه هو قدوتها.

ثانيا: وحي الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بالاقتداء بإبراهيم في التوحيد:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا خطاب موجه للنبي ﷺ، يأمره الله تعالى أن يتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة ويتبرأ من عبادة الأوثان التي كان يعبدها قومه كما تبرأ إبراهيم منها.

وقد جاء لفظ الوحي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا﴾ للتّنبيه على أن اتّباعَ محمد ﷺ ملّةَ إبراهيم كان بوحي من الله لأن الدين عند الله واحد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] ودعوة سيدنا إبراهيم كانت لهذا الدين نفسه. مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 66]

وفي وصفه من قبل بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ووصفه هنا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثلاث فوائد:

- نفي الإشراك عن إبراهيم في جميع أزمنة الماضي.
- تجدّد نفي الإشراك تجدّداً مستمرّاً.
- براءة إبراهيم من الشرك براءة تامة.

وقد علم من هذا أن دين الإسلام منزّه عن أن تتعلّق به شوائب الإشراك لأن النبي ﷺ جاء بمثل ما جاء به إبراهيم من إعلان التوحيد الخالص لله تعالى ومحاربة مظاهر الشرك.

ومعنى اتّباع سيدنا محمدٍ ملّةَ إبراهيم المذكور في كثير من آيات القرآن أن دين الإسلام قد بُني على أصول ملّة إبراهيم. وهي أصول الفطرة، والتوسّط بين الشدّة واللّين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: 76].

ثالثا: تحريفُ أهل الكتاب لشرائع دينهم، وعصيانُهم لأمر أنبيائهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي لم يكن تعظيم يوم السبت جزءا من دين إبراهيم، وإنما جعله الله فرضا على اليهود عقابا. وذلك أن موسى أمر بني إسرائيل أن يتخذوا يوما من الأسبوع خاصا بالعبادة. وأمرهم أن يكون هذا اليوم هو الجمعة. فقال جمهورهم: بل يكون يوم السبت لأن الله فرغ فيه من خلق المخلوقات. وقالت فئة منهم: بل نقبل ما أمر الله به موسى. فردهم الجمهور إلى قولهم فوافقوهم، فألزمهم الله تعالى يوم السبت إلزاما عقوبة منه تعالى لهم. فعصوا الله في هذا اليوم وانتهكوا حرمته فأهلكهم الله.

والآية تشير إلى ما ذكره الله في آيات كثيرة عن سلوك بني إسراءيل مع دعوة أنبيائهم، وهو سلوك قائم على العصيان والمخالفة والجدال.

وقد رُوي أن اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم الذي يختص بالتعظيم في الأسبوع، فقالت فئة هو يوم السبت، وقالت فئة هو يوم الأحد، فهدى الله أمة الإسلام إلى يوم الجمعة، فقال رسول الله ﷺ: «فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللَّهُ لَهُ» [صحيح مسلم، كتاب الجمعة،باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: وإن ربك ليفصل بين الفريقين في الخصومة والاختلاف، ويجازي كل فريق بما يستحق من ثواب وعقاب.

وهذه الآية فيها إنذار للمشركين وتهديد لهم بما يترتب على مخالفة الأنبياء والرسل من عقاب عظيم.

وتشير الآيات إلى تحقيق مقصد التوحيد الخالص لله تعالى، والبعد عن كل ما يناقضه من مظاهر الشرك وصوره. وذلك ببيان القدوة التي يمثلها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي أُمِر نبينا محمد ﷺ باتباع ملته والاقتداء بسيرته، والابتعاد عن سير أهل الكتاب ممن حرفوا دينهم.

التقويم

1 – اذكر (ي) الصفات التي وصف الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

2 – لماذا وصف الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بكونه كان أمة؟

3 – بماذا أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ؟

4 – اشرح (ي) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾.

الاستثمار

قَال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «وَقَدْ عُلِمَ... أَنَّ دِينَ الإِسْلَام مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ مَظَاهِرُ الإِشْرَاكِ بِاللهِّ تَعَالَى، لِأَنَّهُ جَاءَ كَمَا جَاءَ إِبْرَاهِيمُ مُعْلِنًا تَوْحِيدَ الله وَمُحَارِبًا لِلشِّرْكِ. وَالشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ كُلُّهَا تُحَذِّرُ مِنْ الشِّرْكِ بِاللهِّ، لَكِنْ يَتَمَيَّزُ الْقُرْآنُ الكَرِيمُ مِنْ بَيْنِهَا بِسَدِّ الْمَنَافِذِ الَّتِي يَتَسَلَّلُ مِنْهَا الإِشْرَاكُ بِصَرَاحَةِ أَقْوَالِهِ وَفَصَاحَةِ بَيَانِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ فِي ذَلِكَ كَلَامًا مُتَشَابِهًا كَمَا قَدْ يُوجَدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الأُخْرَى، مِثْلَ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ وَمَا جَاءَ فِي الأَنَاجِيلِ مِمَّا يُوهِمُ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اِبْنُ الله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ». [التحرير والتنوير لابن عاشور :14/ 316. بتصرف]

تأمل (ي) النص وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1 – بماذا تميزت دعوة إبراهيم عليه الصلاة السلام؟

2 – ما هي الميزة التي يتميز بها القرآن في محاربة الشرك بالله تعالى؟

الإعداد القبلي

اقرأ (ئي) الآيات: (125–128) من سورة النحل وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1– اشرح (ي) الكلمات الآتية: بِالْحِكْمَةِ - وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ - يَمْكُرُونَ - ضَيْقٍ .

2– استخرج (ي) من الآيات أدب الدعوة إلى الله تعالى.

3– بين (ي) من الآيات فضل العفو واحتمال الأذى في سبيل الله.

الدرس
28

سورة النحل
﴿الآيات: 125 128﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات وأحدد مضامينها.

2- أن أستنتج من الآيات شروط الدعوة إلى الله تعالى.

3- أن أتمثل آداب الدعوة والتواصل مع الغير في سلوكي.

تمهيد

بعد أن أمر الله تعالى في الآيات السابقة نبيَّنا محمدا صلّى الله عليه وسلّم أمرا عامّاً باتباع ملَّة إبراهيم عليه السلام، تضمنت هذه الآيات تفصيلا لهذا الأمر، وهو الدعوة إلى الله بمنهج يتصف باللطف والرفق والإحسان في القول والفعل. ووعده بتحقق رعاية الله وعنايته لنبيه ﷺ.

فما هي أهم آداب الدعوة إلى الله؟ وكيف نصبر على أذى المخالفين؟

الآيات

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (128)﴾ [النحل: 125-128]

الفهم

الشرح:

بِالْحِكْمَةِ : بالمعرفة الحكيمة.

وَالْمَوْعِظَةِ : القول اللين الذي يرغب النفس في عمل الخير.

ضَيْقٍ : شِدَّةٍ.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – استخرج (ي) من الآيات آداب الدعوة إلى الله تعالى.

2– بماذا أمر الله تعالى من أوذي في سبيل الله؟

التفسير

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: آداب الدعوة إلى دين الإسلام:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ هذا أمر من الله للرسول ﷺ لأن يسلك أسلوب اللطف واللين في الدعوة إلى دين الإسلام، وأن يتحلى في دعوته بالآداب الآتية:

الحكمة: وهي ترغيب الناس في دين الإسلام ببيان الأدلة المقنعة للعقل، والمزيلة للشبهة، والدافعة لكل شك وريب.

الموعظة الحسنة: وهي ترغيب الناس في الإقبال على الله بذكر الفضائل والمحامد، وبيان ما أعده الله لأهل طاعته من نعيم مقيم ، وما أعده لأهل معصيته من عذاب أليم.

الجدال بالحسنى: وهي الطريقة القائمة على الرفق واللين وحسن الخطاب، وترك الاستهزاء والسخرية والتنقيص من المخاطَب كيفما كان موقفه، ومهما تبين ضعف حجته، وإظهار كون الغرض هو اتباع الحق حيثما كان.

وهذه الآداب في الدعوة إلى الله تعالى أمَر الله بها في آيات أخرى من كتابه الحكيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:46] وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 43]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ هذه الآية تسلية للرسول ﷺ ولكل من اتبعه. فقد بين الله تعالى فيها أن الهداية والضلال يكونان بأمر الله تعالى ومشيئته، وأن الواجب على كل من يدعو إلى الله أن يبين الحق ويرغب فيه، ويبين الباطل ويحذر منه. وليس لأحد قدرة على أن يهديَ أحدا. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص:56] وقوله تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:37] وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:271] .

ثانيا: فضل العفو واحتمال الأذى في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ اتفق المفسرون على أن هذه الآية وما بعدها مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه في يوم أحد.

وتبين الآية أن من تعرض للظلم والأذى فله الحق في أحد الاختيارين:

- أن يطالب بإلحاق العقوبة بالمعتدي عليه بما يلائم فعله.

- أن يتجاوز عن العقوبة ويعفو ويصفح. وهذه منزلة عظيمة عند الله تعالى. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:11].

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ على ما أصابه من أذى المشركين في سبيل الدعوة إلى الله ، وما تلقاه من إعراض عن دعوته. وهي تشتمل على الأمر للنبي ﷺ بالصبر عن المعاقبة. وقوله: ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: أي بمعونة الله وتأييده.وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾. أي: ولا تحزن على إعراض المشركين الذين يكذّبونك، ولا يضق صدرك بما ينعتونك به جهلا من السحر والكهانة والشعر صدا عن سبيل الله. ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الأعراف:1]، وقوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود:12] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾، أي: إن معونة الله وتأييده وولايته إنما

هي للمتقين الذين لا يحزنون على ما فات من أمر الدنيا ولا يفرحون بما أدركوه منها، ويقومون برعاية الفرائض والزيادة من النوافل.

وقد فسر النبي ﷺ الإحسان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»

[صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (إن الله عنده علم الساعة)]

وقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾ أي بالنصر والمعونة والتأييد، ﴿ٱتَّقَواْ﴾ تجنبوا المعاصي، ﴿مُّحۡسِنُونَ﴾ معناه: يكثرون من النوافل والطاعات وفعل الخيرات.

وقد أشارت هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد مهمة تتجلى في تربية المسلم على الآداب الفاضلة والأخلاق النبيلة ، كالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. وهي آداب يستطيع من تحلى بها أن يوجه قلوب الغافلين إلى الخير. كما أشارت الآيات إلى جوامع الأخلاق التي أمر الله بها نبيه محمدا ﷺ مثل العدل عند العقوبة، والعفو عند المقدرة والصبر على ذلك كله.

التقويم

1 – استنتج(ي) من الآيات آداب الدعوة إلى الله؟

2– وضح (ي) علاقة الدعوة إلى الله بالهداية والضلال.

3– لماذا سمى الحق سبحانه فعل المعتدي عقوبة؟

الاستثمار

«بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِاتِّبَاعِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِالشَّيْءِ الَّذِي أَمَرَهُ بِمُتَابَعَتِهِ، وَهُوَ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى الدِّينِ بِأَحَدِ طُرُقٍ ثَلاَثٍ: وَهِيَ الحِكْمَةُ، وَالمَوْعِظَةُ الحَسَنَةُ، وَالمُجَادَلَةُ بِالطَّرِيقِ الأَحْسَنِ. وَالدَّعْوَةُ إِلَى دِينِ اللهِ وَشَرْعِهِ تَكُونُ بِتَلَطُّفٍ، وَهُوَ أَنْ يَسْمَعَ المَدْعُوُّ الحِكْمَةَ: وَهُوَ الكَلاَمُ الصَّوَابُ القَرِيبُ، الوَاقِعُ مِنَ النَّفْسِ أَجْمَلَ مَوْقِعٍ». كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [التفسير المنير للزحيلي :14/ 269.]

بين (ي) انطلاقا من النص ومن مكتسباتك المنهج المطلوب في الدعوة إلى الله.

فهرس الأعلام

الأعلام	ترجمتهم
عمر بن الخطاب	هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين، مضرب المثل في العدل. أسلم قبل الهجرة بخمسة أعوام وشهد الوقائع وكانت له تجارة بين الشام والحجاز. بويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه توفى عام 23 هـ.
عبد الله بن مسعود	هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله ﷺ ومن السابقين إلى الإسلام. كان خادم رسول الله وصاحب سره تولى توفي بالمدينة عام 32هـ.
علي بن أبي طالب	هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشيدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره. توفي عام: 40هـ.
أبو سعيد الخدري	هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجى صحابى كان من ملازمي النبى ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة وغزا اثنتي عسرة غزوة. توفى بالمدينة عام:51هـ.
عمار بن ياسر	هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسيّ القحطاني: صحابي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام وكان النبي صلّى الله عليه وسلم يلقبه «الطيب المطيَّب» وفي الحديث: «ما خير عمار بين أمرين إلا أختار أرشدهما». توفي سنة:57هـ.
أم المؤمنين عائشة	هي أم عبد الله عائشة بنت أبى بكر الصديق عبد الله أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة وبنى بها في السنة الثانية بعد الهجرة وكانت أكثرهن رواية للحديث عنه ﷺ، توفيت عام 58 هـ.
أبو هريرة	هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي مشهور من أكثر الصحابة حفظا ورواية للحديث أسلم في السنة السابعة للهجرة ولي إمارة المدينة، واستعمله عمر رضي الله عنه على البحرين. توفي بالمدينة عام: 59هـ.
ابن عباس	هو أبو العباس عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الحبر ابن البحر ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ولقب بحبر الأمة وترجمان القرآن. دعا له النبي ﷺ بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» توفي بالطائف عام 68هـ.

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمى صحابى من المكثرين فى الرواية عن النبى ﷺ، توفى سنة: 78هـ.	جابر بن عبد الله
هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود، الأسدي، الكوفي، البزاز، وحفص ربيب عاصم ابن زوجته. كان ثقة ثبتا ضابطا متقنا حافظا، أقرأ في بغداد ومكة و الكوفة ولد سنة 90 هـ.	حفص بن سليمان
هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الصحابي، خادم رسول الله ﷺ دعا له النبي ﷺ بقوله: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته» فبارك الله له في المال والولد. توفي عام 93 هـ.	أنس بن مالك
هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي ولي الحكم بعد سليمان بن عبد الملك فكان خليفة صالحا عادلا وكان يلقب بخامس الخلفاء الراشدين. توفي عام 101هـ.	عمر بن عبد العزيز
هو مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وغيرهم. توفي رحمه الله عام 104هـ.	مجاهد
هو الحسن بن يسار البصري، تابعي،كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب. توفي بالبصرة عام: 110هـ.	البصري
هو قتادة بن دعامة، قدوة المفسرين والمحدثين، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك ، وأبي الطفيل الكناني ، وسعيد بن المسيب توفي رحمه الله عام 118هـ.	قتادة
هو: أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي. ويعتبر من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي. توفي عام 127 هـ.	السدي
هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي الإمام التابعي الثقة الفاضل الثبت الأمين. قرأ على أبي عبد الله حبيب السلمي وزر بن حبيش الأسدي وهما على أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم على النبي ﷺ، وهو أحد القراء السبعة. مات عام 127هـ.	عاصم بن أبي النجود
هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى الأعمش، كان مولده في المحرم سنة ستين للهجرة، وأعده أصحاب الطبقات من الطبقة الرابعة من التابعين. عاش في الكوفة وكان محدثها. وهو ثقة حافظ عارف بالقراءات. توفي عام 147 أو 148هـ.	الأعمش

نافع	هو أبو رؤيم، نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى مولاهم. أحد القراء السبعة الأعلام. ثقة صالح. أخذ القراءة عرضا عن تابعي أهل المدينة عبد الرحمن بن هرمز وأبي جعفر القارىء وغيرهما. توفى عام 165 هـ.
مالك بن أنس	هو أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة وصاحب المذهب الذي عليه سواد الأمة بالحجاز والبصرة وما والاها وبإفريقية والمغرب والأندلس ومصر وأتباعه كثيرون جداً. توفي عام 179هـ.
الضحاك	هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، له باع كبير في التفسير والقصص، روي عنه أنه قال: «حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها». توفي عام 202هـ.
ابن جرير الطبرى	هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الفقيه المفسر المؤرخ. استوطن بغداد وعاش بها وعرض عليه القضاء وولاية المظالم فامتنع. من أشهر كتبه «جامع البيان فى تفسير القرآن». توفى سنة 310 هـ.
الزمخشري	هو أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري الملقب بجار الله. كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب. ألف كتبا كثيرة من أشهرها «الكشاف» في تفسير القرآن. توفي عام 538 هـ.
ابن عطية	هو أبو محمد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطيّة المُحَارِبِيّ الغرناطي المالكي الأندلسي، الفقيه المفسر، تلقى العلم عن مشايخ الأندلس. لهَ تَآليف كثيرة منها «المحرر الوجيز» توفي عام 542هـ.
القرطبي	هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، من أهم مؤلفاته كتاب» الجامع لأحكام القرآن». توفي عام 671 هـ.
ابن كثير	هو أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، شرح صحيح البخاري، اختصار علوم الحديث وغيرها، توفي عام 750 هـ.
المراغي	هو أحمد بن مصطفى المراغي المصري. كان مدرسا للشريعة الإسلامية بدار العلوم بمصر. له كتب «تفسير القرآن» المعروف بتفسير المراغي. توفي بالقاهرة عام 1371 هـ.
ابن عاشور	هو محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.له مصنفات من أشهرها «التحرير والتنوير» في تفسير القرآن. توفي عام 1393 هـ.

	فهرس المصادر والمراجع
1	**القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**
2	**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.** لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي المتوفى 1393هـ الناشر دار الفكر للطباعة بيروت لبنان تاريخ الطبع: 1415 هـ 1995 م.
3	**إحياء علوم الدين.** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) الناشر: دار االمعرفة – بيروت.
4	**الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية.** لأببي أسماء محمد بن طه الناشر: دار ابن حزم، القاهرة دار سبل السلام ط: الثانية، 1433 هـ – 2012 م.
5	**البحر المحيط في التفسير.** لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
6	**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.** لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: 1419 هـ.
7	**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد.** المشهور بالتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
8	**تفسير ابن باديس.** لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ). تحقيق: أحمد شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. ط: الأولى، 1416هـ – 1995م.
9	**تفسير القرآن العظيم.** لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى، ط: الثالثة – 1419 هـ
10	**تفسير القرآن العظيم.** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.
11	**تفسير المراغي.** لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ – 1946 م.

12	**التفسير** المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية ، 1418 هـ.
13	**تفسير النسفي**. المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م.
15	**التفسير الوسيط**. للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى – 1422 هـ
16	**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**. المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
17	**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**. لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.
18	**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. للثعالبي المتوفى: 875هـ. تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الأولى – 1418 هـ.
19	**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى: 911هـ. الناشر: دار الفكر – بيروت.
20	**سنن ابن ماجه**. لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
21	**سنن أبي داود**. لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م
22	**سنن الترمذي**. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م.

السنن الكبرى. لأبي بكر لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المتوفى: 303هـ. تحقيق حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.	23
السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث. لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: دار المعرفة، بيروت لبنان ط: السابعة، 1429 هـ – 2008 م.	
شرح الطيبي على مشكاة المصابيح. لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي الناشر: مكتبة نزار مصطفى ط: الأولى، 1417 هـ. 1997 م.	
شعب الإيمان. لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م.	20
صحيح ابن حبان. لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي (المتوفى: 354هـ)تحقيق شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت ط: الثانية، 1414هـ 1993م.	
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.	23
المجتبى من السنن. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986.	24
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط: دار الفكر، بيروت – 1412هـ	25
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ	26
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.	27

المرجع	الرقم
مسند الشهاب. لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454ه) ـالقضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت ط: الثانية ، 1407 – 1986م.	28
المعجم الكبير. لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (المتوفى: 360هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: الثانية بدون سنة الطبع.	29
مفاتيح الغيب. لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ط: الثالثة1420 هـ.	30
الموافقات. للإمام الشاطبي المتوفى: 790هـ. تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان، ط: الطبعة الأولى 1417هـ 1997م.	31
الموطأ. للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406 هـ – 1985 م.	32

فهرس الموضوعات

